مكتبة
المدرسة الخديوية
رقم
١

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن عشر بعد المئة

١٥ مارس سنة ١٩٥١ ٧ جمادى الثاني سنة ١٣٧٠

الفيلسوف والالم

للدكتور جميل صليبا

﴿ تمهيد ﴾ لمصور الفلاسفة وفيلسوف المصورين (تبشين) صورة ذات قسمين ، يمثل أحدهما عدداً من النساء في أوضاع مختلفة ، اختطفت أطفالهن فبدت عليهن علامات الحزن والضنى واليأس ، ويمثل الثاني عدداً من النعاج في أوضاع موازية لأوضاع النساء ، اختطفت خرافها فظهرت عليها دلائل الألم والرعب والذعر . وفي كل قسم من هذين القسمين معانٍ جميلة ورموز لطيفة . فاذا تأملنا هذه الرموز وهذه الاشارات وجدنا تحت كل صورة انسانية صورة حيوانية مشابهة لها ، ورأينا الحيوان والانسان يتشابهان في الاحساس بالألم ويختلفان في التعبير عنه .

إن هذه الصورة الرمزية توحي بكثير من المعاني ، وتشير إلى كثير من الآراء الفلسفية فهي تدل أولاً على أن الألم ظاهرة طبيعية مقارنة لوجود الانسان والحيوان ، وهي تدل ثانياً على أن نموّ القوة المدركة عند الحيوان يزيد شعوره بالألم . فالجماد لا يحس بالألم ، والنبات يكاد يكون عديم الاحساس به ، أما الحيوان فان درجات شعوره بالألم متفاوتة ، فكلما كان أرقى كان شعوره بالألم أشد ، وكلما كان أدنى كان شعوره بالألم أخف . وأما الانسان فهو أكثر الحيوانات شعوراً بالألم لنمو مداركه العقلية ، ولو فرضنا أن هناك عالماً آخر فوق عالم الانسان له نصيب من المعقول ، ونمطه في الوجود شبيه بالنمط الذي نحن

فيه لكان شعوره بالألم أشد من شعور الانسان به . فكأن العقل عن النعيم صاد ، والسعادة مضاد ، وكأن العلم سبب من أسباب الشقاء .

ثم إن صورة (تدشين) هذه ترمز أيضاً الى مذهب التشاؤم ، لأن العقل في نظر صاحبها يولد الحزن والألم والشقاء ، والجهل يولد القناعة والرضى . ومن الصعب أن تقف أمام هذه الصورة الفنية دون أن تتساءل : ما هي أسباب الألم ، لماذا وجد الألم ، هل يتألم الانسان أكثر مما يتألم الحيوان . ما هي علاقة الألم بالعلم ، هل يزداد الألم بازدياد العقل والثقافة . ثم إذا كان العلم يشقينا فهل من الخير لنا أن نعلم ، أم نحن حقيقون بأن ننعم في الجهل ، وان نفضل الظلمات على النور . ثم كيف السبيل الى شفاء النفس من الألم ، هل يستطيع الانسان أن ينقذ نفسه من براثن الشقاء . ما هو الخير وما هو الشر ، وما هي شروط السعادة ؟

هذه أسئلة طالما رددها الفلاسفة ، وحاولوا أن يجدوا لها حلاً ، وهي غير مقصورة عليهم وحدهم وإنما هي اسئلة يرددها كل انسان في كثير من مواقف الحياة . فاذا اشتدّ المرض عليه صرخ من أعماق قلبه لماذا أتألم . وإذا فارقه حبيبه وشعر بالملال والضجر بعده ودّ لو يفارق الحياة . واذا مات له عزيز ضاقت الدنيا في وجهه . فالفتى يشقى بأحلامه ، والشيخ يبيع حكمته بشبابه ، والفقير يصرخ يا رباه حتى متى تحكم البؤس فيّ وتضع الشوك على رأسي والغني يقول لقد أوقر المال بالهمّ حياتي فاستعبدني في صباي وشيخوختي حتى جنى على صحتي جناية الشوك على الورد . ويكفي أن يدخل الانسان مستشفى من المستشفيات ، أو ملجأ من ملاجيء العجزة ، أو سجناً من السجون المظلمة ، أو بيتاً من بيوت الفقراء المعدمين ، أو معملاً من المعامل الكبيرة التي سخرت الانسان للآلة ليشاهد ألواناً من العذاب وصنوفاً من الألم والشقاء . فالانسان يسعى جهده طيلة حياته محفوفاً بالمتاعب والمصاعب ، وغاية ما يحصل عليه بعد هذا العناء الطويل ان يحافظ على حياته البائسة ، بينما الموت ماثل أمام عينيه في كل لحظة وفي كل فعل . أفلا يدفعه هذا كله الى الثورة والتمرد ، أفلا يدعوه الى البحث عن أسباب ألمه . لماذا يتألم الإنسان ، ولماذا يسعى ويشقى ، لماذا لا تكون حياته لذة كلها وسعادة كلها ، أجل ، لماذا ، لماذا – هذه كلمة ثورية لا يقولها إلا الانسان ، هذه صرخة سماوية لا تنبعث إلاَّ من أعماق القلب . أليس الانسان شبيهاً (بأوديب) التائه الذي ذكرته الأساطير ، يمشي في طريق الحياة الوعر ، حتى يلتقي في أحد منحدراتها بذلك (الاسفنكس) العجيب الذي يطلب منه الجواب عن لغزه المحتوم ؟ فاذا حلّ هذا اللغز نجا من الموت ، وإذا عجز عن حله وقع في الهاوية .

١ – الألم في نظر الشعراء

لقد حاول كثيرون من الشعراء أن يحلوا هذا اللغز وأن يقبضوا بيمينهم على كلمة السر، فثار بعضهم على الألم وأذعن الآخرون للشقاء الذي خلقوا له .

فمن الذين ثاروا على الألم ثورة عنيفة أبو العلاء المعري ، وعمر الخيام والشاعر الانكليزي بيرون .

فأبو العلاء قد رأى الشر والألم في كل شيء ، وشبه الناس بركاب سفينة تتدافعها أمواج البحر ، وقال وملء جوانحه الرعب واليأس

يُهال التراب على من ثوى   فآه من النبأ الهائل

وعمر الخيام رأى أننا ألاعيب أطفال ، وأن الفلك هو اللاعب بنا ، فذمّ الحياة ، وأفاض بالنقمة عليها ، وقال ان محصول الانسان منها لم يكن إلاّ الألم وعذاب النفس ، فطوبى لمن خرج منها أو لم يجيء إليها .

وبيرون ثار على الألم ثورة عنيفة فقال في خطابه لابليس على لسان قابيل : « لمَ وجدت ، ولماذا شقيت ، ولمَ أحاط الشقاء بكل موجود ، يجب أن يكون الخالق هو الآخر شقيًّا ما دام قد خلق هذه الكائنات البائسة » .

ومن الذين أذعنوا للألم واستسلموا لصروف الحياة الشاعر الفرنسي (دوفيني) فهو يزفر زفرة عميقة هادئة هي أقرب ما تكون الى زفرة المحتضر . ثم تنتهي زفرته هذه بالاذعان والاستسلام الوديع

ومنهم أيضاً (الفرد دي موسيه) الذي أعلن أن الانسان متعلم والألم معلمه وأن الإنسان لا يعرف حقيقة نفسه إلاّ إذا تألم ، وأن لا شيء كالألم العظيم يجعلنا عظماء .

تلك هي آراء بعض الشعراء . وذلك هو موقفهم من الألم . لقد وقفوا من الألم موقفاً ثنائيًّا في وجهه الأول ثورة وفي وجهه الثاني اذعان واستسلام ، إلاّ أن آراءهم لا تؤلف مذهباً فلسفيًّا محكم الأجزاء دقيق التركيب ، وإنما هي معان تخيلوها فملأوا منها شعرهم. رأوا أشعة النور ، ولكنهم لم يستضيئوا بها ، وأدركوا الظواهر والنتائج ، ولكنهم لم يكشفوا عن الحقيقة ولا قبضوا على كلمة السر ، وانما بدا العالم لهم مسرحاً من الصور والألغاز ليس بين أجزائه ارتباط ، ولا بين ظواهره ترتيب ، ولو فاجأهم الاسفنكس في طريقهم وألقى عليهم لغزه العجيب لعجزوا عن حله ، ولوقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الاضطراب والشك .

سرٌّ قديمٌ وأمرٌ غير متضح   فهل على كشفنا للحق اسعاد

لنترك إذن هؤلاء الشعراء ، إنهم في كل وادٍ يهيمون ، ولنطلب من الفلاسفة أن يوضحوا لنا هذا السر ، ان الفلسفة كما يقولون هي العلم بحقائق الأشياء ، فما هو الألم في نظر الفلاسفة ، ما هي أسبابه وما هي غايته ؟

٢ – الألم في نظر الفلاسفة

إن لمسألة الألم في نظر الفلاسفة وجهين : الأول هو تعليل الألم ، والثاني هو التحرر منه، ومعنى تعليل الألم ادراك حقيقته وفهم أسبابه ، ومعرفة غايته . ومعنى التحرر من الألم الكشف عن طريقة عملية للخروج منه ، ومعرفة السلوك الذي يجب علينا ان نتحلى به عند مواجهتنا إياه أو شعورنا به .

إن كل مسألة من هاتين المسألتين متصلة بالأخرى ، لأنك لا تستطيع ان تهتدي الى طريق التحرر من الألم إلاّ اذا عرفت أسبابه ، كما أنك لا تستطيع ان تعرف كيف المخرج منه إلاّ اذا عرفت حقيقة سلوك الانسان ، وهل هو مسيّر أو مخيّر . فاذا تبين لك ان الانسان مسيّر حكمت جازماً بأنه لا حيلة له في الثورة على الألم ، وان شاء أو أبى ، مدفوع بحكم الاضطرار الى مصيره المحتوم واذا تبين لك ان لارادة الانسان تأثيراً في توجيه سلوكه حكمت جازماً أيضاً بأن في وسعه أن يتجنب بعض أسباب الشقاء . فمن الضروري إذن ان نبحث عن أسباب الألم وشروطه قبل ان نبحث في امكان التحرر منه والتغلب عليه

إن أقدم المذاهب الفلسفية التي نجد فيها حلاً لمشكلة الألم هي الابيقورية والرواقية . فقد حاول أصحاب هذين المذهبين ان يعللوا لنا حدوث الألم ، ويبينوا لنا غايته ويرشدونا الى طريق الخلاص منه .

ا – ﴿ الابيقورية ﴾ – ماذا يقول الابيقوريون ؟ يقولون إن اللذة وحدها غاية الانسان ، وهي وحدها مصدر الخير ، أما الألم فهو الشر . والحكيم كل الحكيم في نظر (ابيقوروس) من سكّن آلامه بتذكر اللذات الماضية ، وتأمل لذات المستقبل ، فيرفض لذة عاجلة لأنها تستتبع ألماً أكبر منها ، ويتحمل ألماً عاجلاً لأنه يستتبع لذة أكبر منه . إن الألم ينشأ عن كثرة الحاجات . فخيرٌ للانسان اذن ان يقلل من حاجاته ، وأن يطرد من أفكاره كل ما يبعث على الألم ، وعلى قدر ما نتجنب هذه الأفكار المنافية ونحافظ على الأفكار الملائمة نكون سعداء . وسبيل ذلك بساطة العيش والاعتدال ، وابتهاج النفس ، وهدوء البال ، والسيطرة التامة على الرغبات حتى لا تدفع بنا في طريق الضلال . وكثيراً ما كان

ابيقوروس يصف نفس الحكيم بهدوء البحر او بالسماء الصافية ، بل الحكيم في نظره هو الذي يكتفي بالقليل من الخبز والماء ، ويصبح باعتداله أسعد من (جوبيتر) ، فيتذرع بالصبر ، ويجد اللذة في احتقار اللذة ، ويتألم من غير أن يشكو ، لأن شكواه لا تنفع إلاّ في زيادة آلامه وأحزانه . وهذا كله حق ، لان التذرع بالصبر قد يعين الانسان على التحرر من الآلام الخفيفة ، ولكن كيف يستطيع الانسان ان يتغلب على الآلام الشديدة ، كيف يستطيع التغلب على الموت ؟ يقول (ابيقوروس) : لا تخافوا من الموت ، انكم لن تجتمعوا به ابداً ، فما دمتم في قيد الحياة ، لا تلتقون بالموت ، ومتى فقدتم الحياة فقدتم الاحساس . وفي هذا القول كما ترون مسكنات كاذبة لقلقنا ومخاوفنا . إني اخاف من الموت بالرغم من هذه المسكنات . ان نفسي لا تسكن كسكون البحر ، ولا تصفو كصفاء السماء ، وانما هي شبيهة ببحر متلاطم الامواج ، أو بسماء متلبدة بالغيوم . وهذه المسكنات الابيقورية لا تزيدني إلاّ قلقاً واضطراباً .

ب — « الرواقية » — ثم ماذا يقول الرواقيون ؟ إنهم يقولون عليك ان تقوم أولاً بواجبك لأن قيامك بالواجب هو وحده في متناول يدك . وهو الذي يحرر نفسك من الألم ، واياك ان تفكر في غير الواجب ، بل طمئن نفسك دائماً ، واخضع للقانون العام الذي يسيّر الكائنات كلها بدون حب . نعم بدون حب . لماذا ؟ — لأننا اجزاء محبوكة في دولاب الكون . قد تكون الحوادث التي تمر بنا شراً ، وقد تكون خيراً ، ولكن هذا الأمر لا يهمنا أبداً ، لأن المهم قبل كل شيء ان يكون في الوجود نظام . وإذا كان نظام الوجود يقتضي أن يتألم بعض الناس ، ويفرح بعضهم الآخر ، فما على الانسان إلاّ أن يتقبل ذلك كله بنفس راضية مرضية . لقد كان (ابيكتيت) عبداً رقيقاً وكان سيده يعذبه كثيراً ، فلما لوى له رجله قال له (ابيكتيت) في هدوء : « ستكسر رجلي » فلما انكسرت رجله قال في غير جزع : « قلت لك انك ستكسر لي رجلي » . وهذا المثال يدل على أن السعادة في نظر الرواقيين انما تعتمد على قوة المقاومة . وما نجده في الحياة من آلام ليس سوى تمرين رياضي نصل به الى ضبط النفس وكبح جماحها . لتمر بنا الآلام ، ولتغمر حياتنا كما تغمر أمواج البحر الصخرة الصماء الراسية على الساحل . إن سعادتنا هي أن نتحد بنظام الكون وان نعتقد أننا جزء من أجزائه المركزة بعضها على بعض ، وأن نقول بهدوء وثبات وتجلد ما أنت أيها الألم الاّ كلمة خرساء .

ولكن ألا ترى معي أيها القارىء الكريم أن في هذا الثبات ، وفي هذا التجلد

والصبر تمرداً على الطبيعة ؟ كيف ينكر الرواقي الألم ، والألم ملء جوانحه ؟ كيف يرضى عنه وهو ينخر عظامه ، ويمزق أحشاءه ؟ لا يكفي أن يسلم المرء بأن نظام الكون يقتضي وجود الألم حتى يكون سعيداً ، لأن الحكم بأن الألم نتيجة طبيعية لنظام الكون لا يمنع المرء من الشعور به وما خير الحياة بلا سرور ، لا بل ما فائدة هذا النظام العام إذا كان من لوازمه أن نعيش على خطر وأن نخترم عن الحياة قبل التمتع باللذات ، وأن تبقى سكين الجلاد مسلطة على عنق الذبيحة ؟ قد تكون التضحية بالفرد عدلاً بالنسبة الى الكون ، ولكنها على كل حال ليست بالنسبة الى الفرد إلاَّ منتهى الظلم والجور . يقول لي الرواقيون لو لم تعتقد أن في مصيبتك شرًّا لما تألمت ، فألمك ناشىء إذن عن رأيك . نعم لو اعتقدت ذلك لما تألمت ، إلا أنني لست معتقداً ذلك مادمت أتألم ان تحدي الألم لا يميت فينا هذا التطلع الى حياة أسمى من الحياة الواقعية . إننا نريد أن نعيش طويلاً ، إننا نريد أن يكون عيشنا رغداً ، فيا عجبا للرواقي الذي يخدع نفسه ، كيف يستطيع أن ينكر الألم ، لا بل كيف يستطيع أن يتحدّاه ، إنه يكذب على نفسه ، ويكذب على الناس لم يرض بالواقع الأليم إلاَّ ليأسه ، ولم يزهد في الحياة إلاَّ لعجزه عن التمتع بلذاتها .

ح — ﴿ الوضعية ﴾ — لنترك الآن هذه المذاهب القديمة ، ولننتقل الى الفلسفة الحديثة . لنسأل الفلاسفة الوضعيين ما هو رأيهم في الألم ، وما هي الوسائل التي يرون الأخذ بها للنجاة منه . ان هؤلاء الفلاسفة لا يتجاهلون وجود الألم ، ولا ينكرونه ، ولا يستسلمون له ، بل يكافحونه ويحاولون اتقاءه . فهم يقولون إن سلاح الانسان هو العلم ، وهذا السلاح يعينه على كل شيء . لنخضع الأرض لحاجاتنا ، ولنضيق ساحة الألم ، ولنفتح أمامنا أبواب الفرح واللذة . ولنملأ حياتنا قوّة ونظاماً . إن في علم الصحة وسائل للوقاية من المرض ، كما ان في علم الطب أساليب للشفاء منه . وفي تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس عقلية وسائل كثيرة لمكافحة الفقر والجهل واحقاق الحق واقامة العدل

لقد كان أثر هذا المذهب الوضعي في عقول الناس عميقاً جدًّا ، لأنه يعتمد على العقل والتجربة ويؤمن بالتقدم . ويعتقد أن العلم هو الوسيلة الوحيدة لاسعاد الناس . ألم يكشف العلم عن أسرار الطبيعة ، ألم يخفف أعباء الانسان . ان العلماء قد اخترعوا كل شيء ، فهم قد سيطروا على البر والبحر والسماء ، وقصروا المسافات ، وحفروا الجبال ، وسخروا قوى الطبيعة لأغراضهم ، وأخرجوا ثمرات الأرض ، وحطموا الذرّة ، وعرفوا أسباب المعالجات ، ومدوا في حياة الانسان . وربما كشفوا في القريب العاجل أسراراً كثيرة غير هذه تبير الانسان في طريق التقدم حتى يبلغ سدرة المنتهى .

ولكن هل استطاع العلماء أن يخففوا الحزن ، ويزيلوا الشر المحدق بالإنسان ! هل أدّى التقدم البشري الى اسعاد الناس وانقاذهم من الهم والغم ؟ إن الإيمان بالتقدم لا يمنع المرء من الشعور بالألم . وقد يكون أشد الغم عند الانسان في سرور يتيقن انتقاله عنه ، أو يتوهم بقاءه وهو زائل . لقد وصف لنا الفيلسوف (غويو) هذا الإيمان الوهمي بالتقدم بعبارة لطيفة . قال : « عرفت فتاة ساقها جنونها البريء الى الاعتقاد أنها مخطوبة وانها تزف كل يوم الى خطيبها الخيالي . فكانت ترتدي عند نهوضها من النوم ثوبها الأبيض ، وأكليلها الفضي ضاحكة مستبشرة ، قائلة في نفسها سيأتي الخطيب في هذا النهار . فاذا جاء المساء ولم يأت الخطيب المنتظر غلبها الحزن ، ونزعت ثوب عرسها ، ثم تعود الى ذلك في اليوم الثاني عند مطلع الفجر قائلة سيجيء الخطيب في هذا النهار ولم تزل كذلك تفرح في الصباح وتحزن في المساء ، ترتدي ثوب الأمل راضية باسمة ، ثمّ تنزعه واجمة باكية ، فتنتقل من يقين متوهم ، إلى شك محقق ، حتى أورثها الموت » . إن البشرية تشبه هذه الفتاة المسكينة ، فهي تنسى في كل عصر ما أصيبت به من خيبة الأمل في العصور الخالية ، وتنتظر دائماً تحقيق مثلها الأعلى لقد مرّ على البشرية مئات السنين وهي تقول سيجيء الخطيب غداً ، وكل جيل من الأجيال يرتدي ثوبه الأبيض ، إلاّ أن هذا الخطيب المسحور لم يجيء حتى الآن .

لنفرض الآن أن التطوّر ظلّ سائراً قدماً الى الأمام حتى وصل الى نهايته . ولنتصوّر أن البشرية استطاعت بعد جهود طويلة أن تتغلب على جميع العقبات ، وأن تحقق لكل فرد حرية الاستمتاع بلذات الحياة فهل يقنع الإنسان بذلك ، وهل يكتفي بما بلغه من أسباب اللذة ، ووسائل الصحة والرفاهة . لا لعمري . إن الانسان يطمح دائماً الى أسمى من ذلك . إنه ينظر دائماً الى فوق . وكلما بلغ درجة من التقدم تطلع الى حياةٍ أرقى من حياته الواقعية . وهذا الميل الى تحسين الحياة ، هذا الطموح الى اجتياز حدود الامكان ، هذا النزوع الى ما وراء الواقع ، لا يقف عند حد . ولو أعطى الانسان كل خيرات الدنيا ونال كل ما يتمنى ، وانقلبت أحلامه كلها الى حقائق لما اكتفى بما أحرزه من الثروة والصحة والجمال والقوّة ، ولسمع صوتاً يناديه دائماً من أعماق قلبه : ان وراء هذه الحالة حالة ثانية أرقى منها . وما دام الانسان لم يدرك بعد هذه الحالة ، فهو يشعر إزاءها بالحرمان . وأي ألم هو أعظم من ألم الحرمان ، لا بل أي شقاء هو أكبر من شقاء الفراغ والنقص . إنه ألم أصم ، لا بل هو ألم مظلم . وهكذا فالواقع لا يكتفي بنفسه ، وكل أمر متخيل إذا أصبح واقعياً لم يكتف الانسان به ، بل طمح دائماً ببصره الى أمرٍ ثانٍ هو

الآخر متخيل ، وهكذا دواليك . ان جنة كهذه الجنة الوضعية التى ليس وراءها شيء هي وادٍ من أودية الدموع ، وكهفٍ من كهوف الحزن واليأس . وأي معنىً للحياة في هذه الجنة التي لا يرفرف في سمائها مثل أعلى . إن مصير الانسان فيها مظلم ، لا بل ان حياته تشبه تلك الدمية المعلقة بين السماء والأرض. تهتز ، وترقص ، وتتخبط ، وتقاتل وتعارك حتى يدركها الموت وتوارى في اللحد . فلأي شيء هذا التخبط ، ولأي شيء هذا الكفاح والعراك . نعم لأي شيء يمثل الإنسان على وجه الأرض هذه المأساة التي لا نهاية لفصولها ! إن كل فلسفة تريد أن توضح لنا أسباب الألم دون أن تبين لنا غايته هي فلسفة ناقصة ، لا بل هي برق خلب ووهم باطل . فالثورة على الألم توهم ، وتخدير الآلام بجميع المسكنات الطبية خداع وعجز ، واحتقار الحياة ، والاعراض عنها والزهد فيها كذب ورياء . والاعتماد على العلم وحده لتحرير الإنسان من الألم تمويه .

ى — ﴿ المتشائمون ﴾ — فأنت ترى أن هذه المذاهب الفلسفية لم تقبض على حقيقة الشر ، فهل تستنتج من ذلك انه يجب على الالسان أن يذعن للشقاء ، وأن يقطع كل رجاء ؟

ذلك ما فعله بعض المتشائمين الذين زعموا أن الألم أساس الحياة . فما قاله الفيلسوف الألماني (شوبنهور) ان الارادة هي الحقيقة النهائية لكل شيء ، وهي مصدر الشر .

فالعالم شر لأن الارادة تتطلع دائماً إلى أعلى مما تظفر به ، فاذا تحققت لنا رغبة من الرغبات وجدنا الى جانبها عشرات الرغبات قد أعوزها التحقق . والعالم شر أيضاً لأن في كل فردٍ منا حوضاً من الألم يستحيل أن يظل فارغاً ، إننا لا نزيح عن صدورنا عناءً مضنياً إلاّ لنحل مكانه عناء آخر . والألم هو الدافع الأساسي لكل فعل . وهو وحده إيجابي ، أما اللذة فهي سلبية لأنها لا تحصل للنفس إلاّ عند خروجها من الألم

والحياة شر أيضاً لأن ارضاء الحاجاتِ لا يكاد يسمح للانسان بشيء من الراحة حتى يشعر بالسآمة . وكل ما علا الإنسان في سلّم الارتقاء ازداد ما يعانيه من ألم . ومتى ازداد قسطه من المعرفة ازداد شقاؤه . والحياة شر أخيراً لأنها قتال لا ينقطع ، فأينما توجهت ألفيت جهاداً وقتالاً ومنافسة وعذاباً . إنك لو أخذت أكبر المتفائلين الى ملاجىء المرضى، وغرف الجراحة ، وأوكار العبيد وسراديب الفقراء ، وساحات الحرب لعلم هذا المتفائل الساذج أن أقدامه لا تطأ إلاّ أرضاً مبتلة بالدموع . فنحن تعساء إذا اعتزلنا الناس ، تعساء اذا خالطناهم ، وما الحياة إلا مأساة مبكية وملهاة فاجعة . يقول شوبنهور: يدخلونك وأنت صبي مغزل قطن أو مصنعاً آخر ، فتظل منذ تلك الساعة تذهب الى مصنعك كل يوم فتقضي فيه عشر ساعات أو أكثر تؤدي اثناءها عملاً آلياً لا يتغير.

وأنت مضطر الى هذا العمل لكي تشتري به أنفاسك التي ترضي به ارادة الحياة . فليس التفاؤل إذن أمام هذه المصائب إلا سخرية من سخريات الدهر .

إن الزمان يغرينا بالآمال ولا يرعى لنا عهداً ، ويلوّح لنا بالسعادة ثم يهبط بنا الى مهاوي الشقاء . وما أشبه الحياة كما يقول (شوبنهاور) بمبلغ من المال تدفعه درهماً درهماً نقوداً صغيرة ، فلا تسلم به إيصالاً إلا بعد الانتهاء من دفعه . أما النقود التي تدفعها فهي أيام حياتك وأما الايصال الذي يعطى لك في النهاية فهو الموت .

إن هذه الآراء التي جاء بها (شوبنهاور) قريبة من آراء الشعراء المتشائمين . وهي ترجع أسباب الألم الى ارادة الحياة ، أي الى تلك الفاعلية العمياء التي لا تعرف غايتها . ولو كانت هذه الارادة عاقلة لأدركت أن عملها لا يغطي نفقاته .

ولكن كيف السبيل الى الخلاص من الألم ، كيف السبيل الى الخروج منه . إن المتشائمين الراسخين في تشاؤمهم لا يضعون هذا السؤال ، لأن في مجرد وضعه مخالفة لأصول مذهبهم . فكيف نقول إن الوجود شر لا حيلة لنا في اجتنابه ، ثم نفكر بعد ذلك في امكان الخلاص منه . إن إرادة الخلاص من الألم تدل على الايمان بالتفاؤل . وكل فيلسوف متشائم يرغب في الشفاء من الألم يناقض نفسه بنفسه . ثم لماذا هذا التشاؤم من الحياة . أليس في التشاؤم كثير من الأنانية . إن تسجيل شرور العالم في دفتر الانسانية لا يستلزم الوقوف منها موقفاً سلبيًّا لأن هذا الموقف السلبي لا ينفع إلاّ في زيادة الخطر المحدق بالانسان . لماذا نلقي تبعة ما نحس به من سخط ومن غضب على الكون نفسه ؟ إننا نستطيع أن نبتسم عند مواجهة كل خطر ، ونستطيع أن نملأ قلوبنا رجاء عند اشتداد كل ملمة . إن هذا الرجاء هو خير الذخر في كل شدة ، لا بل هو خير معين لنا على تحمل مشاق الحياة . ولو أنعمنا النظر في ألوان الحياة لوجدناها أقل ظلاماً مما وصفها به (شوبنهاور) ان أصحاء الأجسام يستمتعون بكثير من اللذات الجسمانية ، كما أن أصحاء العقول يدركون كثيراً من اللذات العقلية . ففي ضياء الشمس ، ورائحة الزهر ، وتغريد الطير ومشاهد الطبيعة نفحات من السعادة ، كما أن في تفهم الحقيقة وادراك الجمال وتأمل الخير دلائل على اللذة . إنه من حمق الرأي كما يقول (كارليل) أن نلعن الشمس لأنها لا تشعل لنا السجاير . ومع ذلك فلعلها تشعلها لنا لو أوتينا العلم والذكاء . وكل أمر من أمور الحياة يمكن أن يكون ساراً ومؤلماً حلواً ومراً معاً . فاذا كنا سعداء وجدنا كل شيء جميلاً ، واذا كنا حزانى وجدنا كل شيء قبيحاً .

هـ — ﴿ البوذيون ﴾ وما يقال على مذهب شوبنهور يقال أيضاً على مذهب البوذيين. لقد زعم هؤلاء المتشائمون أن هناك قوة عمياء تسير حياة الأفراد دون أن تفكر في مصيرهم وقالوا إن حقيقة الحياة هي الشر والفساد، وان الوجود هو الألم. يظن الجاهل أن وجوده حقيقي فيعمل ويسعى ويولد هذا السعي في نفسه رغبة وألماً. لذلك كان خير سبيل للخلاص في نظر البوذيين أن يميت الانسان ما يشعر به من رغبة وأن يحطم وجوده الفردي يقول (بودا): اعلم أيها الانسان إن الميلاد والشيخوخة والمرض والموت كلها آلام. وسبيل الخلاص من الألم أن تميت حياتك الفردية، وتتحد بالوجود الكلي.

ولكن هل في وسع الانسان أن يميت حياته الفردية، هل في وسعه أن ينسى ذاته، وينام ملء جفونه. إن كثيرين من الذين أتعبتهم مصائب الحياة يعالجون همومهم بالنوم انهم يريدون أن يناموا لينسوا كل شيء، يريدون أن يناموا طويلاً حتى لا يروا شيئاً، ولا يسمعوا شيئاً ولا يحسوا بشيء. هذه الأمنية هي أمنية الكثيرين من الحزانى الجبناء. ولكن لماذا يريد البائس أن ينام؟ انه يريد أن ينام ليسكن آلامه بأحلامه. النوم هدنة يلجأ اليها البائس ليستعيد قواه فاذا استيقظ من نومه عاد الى متابعة آماله ورغباته. إن البوذي يريد أن يغرق في بحر (النيرفانا) الهادىء، ولكن موقفه من الحياة ليس على التحقيق موقفاً سلبياً خالصاً لانه كلما أفاق من نومه، رغب في العودة الى (النيرفانا) باحثاً عن السعادة الوهمية التي يعلل بها نفسه.

٣ — غاية الألم

فأنت ترى أن جميع المذاهب التي عرضنا لذكرها هنا لا تخلو في بعض نواحيها من النقص. ان الخلاص من الألم لا يكون باقتناص اللذات، لأن اللذة ليست غاية الحياة. وكل من جعل غايته من الحياة طلب اللذة عاش في قلق دائم وهمٍّ مقيم. ثم أن الخلاص من الألم لا يكون بالزهد في الحياة، ولا بالاعراض عن الدنيا، لأن هذا الاعراض عن اللذات لا يدل إلاّ على البلاهة والعجز والكذب والتمويه. ثم ان العلم وحده لا يكفي لاسعاد الانسان، لأنه آلة قد تستعمل للشر كما تستعمل للخير، وأخيراً ان فلسفة التشاؤم لا تنفع إلاّ في زيادة آلامنا وأوصابنا. إننا في حاجة إلى أن نرتفع، اننا في حاجة الى أن نقاوم اننا في حاجة الى العقبات لنرهف بها قوانا. والعاقل من فهم سر الحياة، وعلم انها مزيج من اللذات والآلام وخليط من الخير والشر، بل العاقل كل العاقل من علم أن اللذات والآلام أمور اضافية، لا معنى لأحدها إلاّ اذا نسب إلى الآخر. فقد نجد الألم فيما يسر

غيرنا، وقد نجد الخير فيما يجده غيرنا شراً. إن الذين يقولون إن الحياة خير كلها أكذب من الذين يقولون انها شر كلها. ولو كانت الحياة خيراً خالياً من الشر، أو شراً خالياً من الخير لما كانت واقعية. إن الحياة الواقعية لاذة ومؤلمة، لطيفة ومخيفة، حلوة ومرّة معاً، انها تشبه كما يقول (اناطول فرانس) مهرجاً ارتدى ملابس كثيرة الألوان، فهذا يراها حمراء وذاك يراها زرقاء، ولو وضع كل انسان نفسه في موضع الآخر لرأى اللون الذي يراه. إن ألوان الحياة كثيرة وهي لا تكذب متشائماً، ولا متفائلاً. ولكن المهم في ذلك كله أن نسمح لجارنا بأن يكون سعيداً عندما نكون حزانى.

*

قرأت مرة كتاباً صغيراً يصف فيه صاحبه مدينة فاضلة لا يشعر أهلها بأية لذة ولا بأي ألم. فلما انتهيت من قراءته أحببت الحياة الواقعية، لأن فيها ألماً ولذة، وبغضاً وحباً ويأساً وأملاً، ان الحياة مع رجال يناضلون وينتصرون، ويكافحون ويقاومون أسعد من الحياة مع رجال لا حس لهم. ولو خلا الانسان من الحس لأصبح كالحجر الأصم لا يتلذذ ولا يتألم. ان اللذة الحقيقية الكاملة هي أن تشعر عما يشعر به غيرك فتحبه وتواسيه وتعزيه. فكما ان الشجرة الطيبة اذا شقّ غصنها نشرت حولها رائحة طيبة، فكذلك آلام الناس تفجر من نفوسنا ينابيع الرحمة والفضيلة. ان الذين يريدون ان يزيلوا الشعور بالألم من نفوس الناس يميتون فيهم كل شيء، لأنهم لا يستطيعون ان يزيلوا الشعور بالألم، إلا اذا أزالوا معه الشعور باللذة.

فسبيل الخلاص من الألم هو ان نحب الحياة ونعترف بقيمتها، وان نتقبلها كما هي ونعمل على اصلاحها، وان نبتسم عند مواجهة كل مشكلة من مشكلاتها. اننا إذا وقفنا هذا الموقف الايجابي من آلام الحياة خففنا كثيراً من وطأتها وفي ارادتنا الخيرة وشعورنا بالحرية والحب والكمال عون لنا على ذلك. انني استطيع أن اتصوّر حالة بشرية يجد فيها الاطباء أدوية لجميع الأمراض ومسكنات لجميع الآلام، ووسائل صحية تطيل عمر الانسان، وأستطيع أن أتصور أيضاً حالة اجتماعية يسودها العدل والانصاف، ويكافح فيها العوز والفقر والجهل، وتنتظم فيها أمور الناس على مبادىء التقدم والعدل والرحمة. فهذه الحالة تخفف بلا ريب وطأة الآلام البشرية، ولكنها لا تستطيع ان تزيلها. والوسيلة الوحيدة للتغلب على الآلام هي ارادة الانسان، أي شعوره الداخلي بامكان الخلاص وعزمه عليه.

إن كثيرين منا كما قلت يريدون ان يسكنوا آلامهم بالنوم أو بالمخدرات ، ولكن هذه الخطة السلبية لا تفيدهم شيئاً ، بل تزيد في احزانهم وهمومهم . ولو واجهوا الآلام بنفس راقية وقلوب مطمئنة ، وملأوا حياتهم بالنشاط والعمل لوجدوا في ذلك خير عزاء لنفوسهم

ولكنني اسمع الآن شكوكاً تدب في قلوب القراء . انهم لا يزالون يقولون لماذا لا تكون الحياة لذة كلها . لماذا هذا الشعور بالألم . ألم يكن في وسع الله وهو الخير المطلق ان يخلق حياة خالية من الألم . لماذا جعل الحياة ثقيلة الأعباء ، لماذا جعلها ناقصة وجعلنا فيها غرباء : الجواب على ذلك ان العالم لم يخلق للانسان المتناهي وحده ، بل خلق للانسان ولغاية أسمى من الانسان . ولكن الانسان المتناهي يريد بالرغم من تناهي حدوده ان يحيط بالكمال واللانهاية . إنه يتصور الكمال وينظر الى نفسه فيجدها ناقصة ، انه يتطلع الى الخير ، فينظر الى الأشياء فيجدها محفوفة بالشر ، ولولا هذا التطلع الى الخير والكمال لما كان الانسان انساناً . ولو توهمنا اننا ادركنا ذلك كله لكنا كالحمقى المصابين بجنون العظمة . إن توهمهم بأنهم قد ادركوا الكمال يمنعهم من العمل . إن شعورهم بأنهم قد بلغوا غاية الجهد يصدهم عن الجهد ، ويخرجهم من الوجود الحقيقي . ان الفعل هو شرط الوجود ، لا بل هو علته الحقيقية ، وهو مقرون بالانفعال أي باللذات والآلام . ولا يبلغ الكون غايته إلا اذا قام كل موجود بالفعل الخاص به فالشمس تضيء ، والطير يغرد ، والعود ينشر الطيب ، والانسان يبذل الجهد لا ليملك العالم ولكن ليملك نفسه ، ويتغلب بحريته على ضرورات الطبيعة ، ويتحرر بارادته من قيود الزمان والمكان .

*

هكذا يقطع الانسان مهامه الحياة في صبر وتجلد ، هكذا يرتقي الى اللانهاية في فرح ورجاء . هكذا يصبح الكون بالنسبة اليه معملاً من معامل الجمال . وفي هذا العمل من الجمال يصهر الانسان شخصيته الفردية ، ويتحد بالوجود الكلي ، ويشعر بالعدل والرحمة والرأفة والحب . واذا ما شعر الانسان بالحب قلب لذته الى طرب ، وأدرك ان في كل طرب انتصاراً على الشقاء . فاذا اردنا اذن ان نكون سعداء فلنخرج من قيود الحياة الضيقة ، ولنتحرر من الأنانية ، ولنؤمن بوحدة الوجود ، ولنحقق لأنفسنا حياة مفعمة بالجهد والمقاومة ، اننا اذا فعلنا ذلك ادركنا معنى الحب ، وفهمنا حقيقة الحياة ، وشعرنا باللذة تفوح من خلال الشقة ، وبالسعادة تنبجس من نفحات الصبر والرجاء .

(دمشق)

نحن واللغة العربية

اللغة العربية من النهضة الحديثة في القرن الماضي الى عصرنا الحاضر

— ٢ —

للأمير مصطفى الشهابي

قلت في الحديث السابق إن عهد الأتراك العثمانيين كان أشأم العهود التى مرّت على اللغة العربية وآدابها فقد اتخذوا اللغة التركية دون غيرها لساناً رسمياً للدولة حتى في البلاد العربية . فكان التدريس بالتركية في مدارس الحكومة . وكانت العربية نفسها تدرّس بالتركية في تلك المدارس . وأذكر أنني قضيت سنة من عمري في المدرسة الاعدادية أي مدرسة التجهيز بدمشق فكان معلم اللسان العربي في صفنا (فصلنا) رجلاً تركياً لا يفرق بين المذكر والمؤنث ، يدرّس العربية بكتاب تركي ، فعند ما يريد السؤال عن تعريف الفاعل مثلاً لايقول لنا : ما هو الفاعل ؟ بل يقول : فاعل نه يه ديرلر ؟ وعلينا أن نجيب عن سؤاله بالتركية ، حفظاً عن ظهر قلب ، من كتاب تركي سقيم لتعليم اللغة العربية

وكانت التركية لغة المحاكم أيضاً : فالمرافعات والمحاكمات كلها تدوّن بهذا اللسان دون غيره . وهو لسان الجندية ولسان الحكومة في جميع دوائرها . فالعربي لا يستطيع أن يكون موظفاً ما لم يعرف هذا اللسان . أما معرفة اللسان العربي أو الجهل به فسيان .

ولم يعترف الأتراك العثمانيون بوجود قوم إسمهم العرب ولا بقومية إسمها العربية ، ولا بكيان سياسي لهذا الشعب الذي كان يتألف منه نصف الدولة ، بل كان يجب علينا أن نسمي نفسنا عثمانيين ليس غير . ولم تكن هذه العثمانية ويا للأسف شيئاً يستطيع أن يُعتز به حتى العربي الذي أنكر قوميته العربية لأنه بينما كانت أوربة في عهد الدولة العثمانية تتقدم بخطى جبارة في جميع مناحي المدنية من علم وأدب وفلسفة وصناعة وزراعة وتجارة وفنون مختلفة ، كانت الدولة العثمانية مثال الجهل والانحطاط والجمود حتى لقبوها بالرجل المريض .

وشاء الله ألا تقضي تلك الأيام السود على لغتنا الضادية فلبثت تدرّس تدريساً حسناً في بعض الجوامع كالأزهر في مصر ، وفي بعض المدارس الأهلية الاسلامية والنصرانية في ديار الشام . ويجب الاعتراف بأن مدارس نصارى الشام تمسكت بلغتنا ولم تهملها منذ أن تأسس معظمها في القرن الماضي الى يومنا هذا .

وإذا أنعمنا النظر في نهضتنا الأدبية الحديثة نجد أنها بدأت في مصر والشام ، وامتدت منهما الى سائر الأقطار العربية . ففي مصر يعزى بدء النهضة الى حملة الفرنسيين عليها في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد . ذلك أن نابليون جلب معه الى مصر طائفة جليلة من العلماء الفرنسيين أسسوا معاهد علمية فرنسية ومجمعاً علمياً مصرياً ومدرستين وجريدتين ودار كتب ومراصد جوية ومختبرات كيماوية ومسرحاً للتمثيل . وجلبوا معهم مطبعة عربية كانت أولى المطابع في مصر . ودرس هؤلاء العلماء نباتات القطر وحيواناته وجيولوجيته وآثاره ومياهه . ومنهم من عكفوا على دراسة العربية وآدابها . ومنهم من أسسوا معامل للورق والأقمشة وغيرها . ولم يألوا جهداً في اطلاع المصريين على أسس المدنية الأوربية ولا شك أن اليقظة في مصر بدأت من ذلك الزمن . ولكن هذا العهد لم يطل كما هو معروف في التاريخ وتأثيره كان صغيراً . ولهذا يعد محمد علي الكبير أب النهضة الحديثة في القطر الشقيق .

فهذا الرجل العظيم أدرك بثاقب فكره وحدة ذكائه أنه لا يمكن تأسيس دولة ثابتة الأركان إلاَّ باقتباس أسباب المدنية الحديثة . ولهذا جعل همه نشر العلم والثقافة في الشعب على أحدث الأساليب الأوربية المعروفة ، واستعان على ذلك بعلماء من الفرنسيين خاصة ، ففتح بضع مدارس للعلوم الحربية ، ومدرسة طبية ، ومدرسة للطب البيطري ، ومدرسة هندسية ، ومدرسة زراعية ، ومدرسة للصناعات والفنون ، ومدرسة للألسن والترجمة ، وللإدارة الملكية والحسابات ، وأوجد أول جريدة عربية هي الوقائع المصرية

وبعث الى فرنسة خاصة ٣١٩ تلميذاً يدرسون فيها العلوم المختلفة فعاد منهم الى مصر عدد كبير من العلماء والأساتذة ، بعضهم تولوا مناصب الدولة الكبيرة وآخرون درسوا في المدارس المصرية . وكان محمد علي حريصاً على نشر اللغة العربية وآدابها . وكانت جميع الدروس التي يلقيها الأساتذة الفرنسيون تترجم الى العربية . وطبع كثير منها في مطبعة أسست في ذلك العهد .

ولم يكن الخديوي إسماعيل دون محمد علي في نشر العلم فأسس المدارس وأرسل البعثات الدراسية الى أوربة وطبع الكتب العلمية والأدبية . وقد زهت اللغة العربية في أيامه لأنها

كانت لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم في جميع مدارس الحكومة على اختلاف درجاتها وأغراضها . ونشط إسماعيل الصحافة فظهرت في أيامه عدة صحف أصحابها مصريون وشاميون وأشهرها جريدة الاهرام وجريدة المحروسة .

ولبثت المدارس المصرية تدرس بالعربية في عهد الاحتلال أي بعد سنة ١٨٨٢ من الميلاد إلا بعض المدارس العليا كمدرسة الطب فقد جعل التدريس فيها بالانكليزية . أما الصحافة في ذلك العهد فقد تقدمت لأن أكبر ممثلي انكلترا في مصر وهو اللورد كرومر (على ما يؤخذ عليه في السياسة) كان نصيراً لحرية الصحافة ولم تكن انتقادات الصحف تزعجه . وفي تلك الأيام صدرت جريدة المقطم سنة ١٨٨٨، ثم جريدة المؤيد . وصدرت مجلة الهلال ونقلت مجلة المقتطف من بيروت الى مصر وأنشىء بعدئذٍ عدد من الجرائد والمجلات المختلفة ما برحت تتقدم بلغتها وبموضوعاتها حتى بلغت مقاماً جليلاً في أيامنا هذه، وحتى غزت الأقطار العربية السائرة لأنها فاقت صحف تلك الأقطار إجمالاً .

وترجع طلائع النهضة الحديثة في الشام الى ما أسسته الأرساليات الدينية من المدارس في القرن الماضي في بيروت ولبنان ، وما أسسته الجمعية الخيرية من المدارس في دمشق وأنحاء الولاية أيام الوالي الشهير مدحت باشا في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة . ثم كثرت المدارس الأهلية ولا سيما المدارس الطائفية النصرانية ، ولكل بطريركية مدارسها في أنحاء القطر ، وكلها تعني عناية كافية باللغة العربية . ولم يشذ عن ذلك الا مدارس الحكومة كما أشرت اليه . وكان التعليم بالعربية بادىء ذي بدء في الكلية الاميركية . وألف أساتذتها المشهورون فان ديك ، وبوست وورتبات، كتباً عربية ثمينة في بعض العلوم التي كانوا يدرسونها . ولو لم يجعلوا التعليم بعدئذ بالانكليزية لكان للجامعة الأميركية فضل جد كبير على لساننا العربي . وكان التسابق على أشده في مدارس الأرساليات الدينية وهي تنتمي إلى دول مختلفة، والى طوائف مختلفة . وقد تثقف فيها عدد كبير من رجالات الشام فخدم بعضهم ثقافتنا العربية خدمات لا تنكر، وضلّ آخرون منهم فتنكروا للغتهم ولقوميتهم . ومع هذا فقد كانت هذه المدارس أصلح لنا من مدارس الدولة التي كانت تحارب في السر لغة القرآن وليس فيها مدرسة واحدة يستطيع المرء أن يتثقف فيها ثقافة عالية.

وسبق الشاميون غيرهم الى الطبع بالأحرف العربية . وظهرت الطباعة في حلب في أوائل القرن الثامن عشر . وأنشئت المطابع في لبنان وبيروت خلال ذلك القرن . ثم أنشئت المطبعة الأميركية والمطبعة اليسوعية في بيروت في القرن التاسع عشر وهما اليوم أكبر مطابع هذا القطر . اما الصحافة المستقلة فقد سبق الشاميون غيرهم فيها فأصدروا في القرن التاسع عشر

بضع جرائد ومجلات علمية وأدبية . وانتقل عدد من الكتاب الشاميين الى مصر أيام اسماعيل وبعدها ، فكان لهم تأثير كبير في نهضة الصحافة في القطر المصري.

ونتج عن هذه اليقظة تأليف جمعيات أدبية كثيرة في مصر والشام في القرن التاسع عشر كالجمعية السورية والجمعية العلمية السورية في بيروت وغايتهما واحدة وهي نشر العلوم الحديثة ، وكجمعية زهرة الآداب في بيروت وهي تعنى بالخطابة والبحوث العلمية . وألفت جمعيات خيرية للتعليم الأهلي كجمعية المقاصد الخيرية في بيروت وهي ما برحت قائمة بأعمالها الخيرية التعليمية ، وكالجمعية الخيرية في دمشق وهي التي أشرت إليها ، ذهبت بذهاب مدحت باشا من هذه الديار . أما في مصر فقد كانت حركة الجمعيات والمجامع العلمية أسرع وأقوى منها في الشام . فما اشتهر منها المجمع العلمي المصري أسسه نابوليون أثناء حملته وهو ما برح حيًّا له مجلة تنشر بحوثاً علمية جليلة تتعلق بمصر وبالثقافة العربية معظمها بالفرنسية وبعضها بالانكليزية والعربية ، وله نشرات في حجم الأسفار فيها بحوث ودروس عظيمة الفائدة . وفيه عدد غير قليل من العلماء المصريين .

ومنها الجمعية الجغرافية ، والجمعية الزراعية ، ومعهد الحشرات ، والجمعية الطبية ، وجمعية المعارف لنشر الكتب ، وجمعية الترجمة ، وجمعية العروة الوثقى الاسلامية ، والجمعية الخيرية الاسلامية الى كثير غيرها من النوادي الأدبية ، وجمعيات التعليم والدراسة .

ومن بدائه الأمور أن ينتبه العلماء ورجال الدولة الى المخطوطات العربية القديمة وإلى تأسيس دور كتب تُحفظ فيها الكتب المخطوطة والمطبوعة قديمة كانت أم حديثة . وكان أجدادنا في القديم من أحرص الناس على جمع الكتب . وقد حوت بعض دور الكتب أيام العباسيين في العراق ، والأمويين في الأندلس ، والفاطميين في مصر ، مئات الألوف من المجلدات . ونيّف عددها في بعض الدور على مليون كتاب بين صغير وكبير . وقد ضاع معظمها ويا للأسف في الحروب والفتن الداخلية ، وفي استيلاء المغول على العراق شرقاً ، واستيلاء الأسبان على الأندلس غرباً . ولما انتبهنا لجمع البقية الباقية منها في القرن التاسع عشر ، كان الأوربيون قد سبقونا الى جمع عدد كبير من هذه البقية ، في دور كتب باريس ولندن ، وبرلين ، واكسفورد ، وليدن ، والاسكوريال ، وكمبردج ، وغيرها . وبدلاً من أن تساعدنا الدولة العثمانية على تأسيس خزانات للكتب والمخطوطات العربية القديمة في الولايات العربية ، فانها نقلت إلى إسطنبول ما سمت همتها المتقاعسة الى نقله من تلك الكتب والمخطوطات . ولم يحسن إلينا في هذا الصدد إلا الوالي الشهير مدحت باشا الذي أُسست دار الكتب الظاهرية في دمشق في أيام ولايته .

ولبث كثير من الكتب هنا وهناك في بعض الجوامع والكنائس والمدارس وعند محبي الأدب من الأفراد ، كالخزانة الأحمدية، والخزانة المارونية في حلب ، وكالخزانة الخالدية في القدس ، والخزانة الأميركية والخزانة اليسوعية في بيروت ، وخزانات المرجانية ، والحيدرخانة ، وآل الكيلاني ، وآل الآلوسي ، وغيرها في بغداد ، والخزانة الصادقية في تونس وبعض الخزانات في مراكش .

أما مصر فهي أغنى البلاد العربية بدور الكتب العامة . فقد أُسست فيها دار الكتب الخديوية في القرن الماضي . وتسمى اليوم دار الكتب المصرية . وهي أعظم الدور في الشرق الأدنى . ولا يخلو جامع كبير أو مجمع أو بلدية أو مدرسة عالية من خزانة كتب كبيرة أو صغيرة كالأزهر، والجامعة المصرية ، وكلية الطب، وكلية الحقوق، والمجمع العلمي المصري وبلدية الاسكندرية الخ . وأما الخزانات الخصوصية فهي في مصر كثيرة . وأشهرها الخزانة التيمورية لأحمد باشا تيمور ، والخزانة الزكية لأحمد زكي باشا . وقد نقلتا أخيراً الى دار الكتب المصرية .

ولا عجب أن تستفيد لغتنا الضادية فوائد جلى من النهضة الأخيرة في القرن التاسع عشر . فقد صنف بعض العلماء معجمات سهلة المنال اختصروا فيها المعاجم القديمة كمحيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ، وكأقرب الموارد للمعلم سعيد الشرتوني . وأُلفت كتب مدرسية في آلات اللغة من صرف ونحو وغيرها فأزالت كثيراً من المصاعب التي يلقاها الطالب في الكتب القديمة . وزاد الاقبال على تعلم العربية في المدارس الحكومية والخصوصية في مصر ، وفي المدارس الخصوصية في ديار الشام . ونقل الى لساننا المبين عدد لا يستهان به من كتب العلوم الحديثة . وأوجدت جملة لا بأس بها من المصطلحات العربية في العلوم والمخترعات الحديثة . منها ما هو اليوم مشهور كالسيارة ، والطيارة ، والباخرة ، والقطار ، والمحرك ، والجريدة ، والمجلة وغيرها كثير . وعكف المستشرقون على مدارسة كتبنا القديمة فطبعوا منها جملة صالحة بعد ان نقحوها وحققوا بعض ألفاظها وعلقوا عليها وأضافوا اليها فهارس مختلفة . واتبع بعض علمائنا طريقتهم في طبع تراث أجدادنا العلمي والأدبي . ومصر هي اليوم السباقة في هذا المضمار . وكانت مغبة هذه النهضة الأدبية ظهور بواكير الكتاب ، والشعراء ، كاليازجي ، والبستاني ، والشدياق ، وابراهيم المويلحي ، وعبدالله نديم المصري ، والبارودي ، ونجيب حدّاد وعدد كبير غيرهم ممن أعادوا إلى الانشاء العربي ديباجته المشرقة وبيانه الناصع فكانوا طليعة الكتاب والشعراء المبرزين في عصرنا الحاضر .

اتجاه العلم

للأستاذ إميل توفيق

يرجع حب المرء للمعرفة الى دافع مزدوج — فالمرء منا قد يتقصى معرفة موضوع ما لأنه يغرم به أو يميل إليه — أو قد يتشوق إلى تحليله والتعرف على جميع عناصره لأنه يرغب أن يسيطر على هذا الموضوع وأن تصبح له سيادة عليه . فالدافع الأول يقود إلى المعرفة التأملية ، والدافع الثاني يؤدي الى المعرفة العملية أو التطبيقية . ولقد كان العلم منذ عهد سقراط ، وأفلاطون ، وارسطاليس منحصراً في دائرة تأملية ، وباطراد العلم وتقدمه ونحن أسلوبه التجريبي انتقل العلم إلى الدائرة التطبيقية وأصبح الدافع السائد للتفكير الإنساني هو دافع القوّة في المعرفة ، وأخذ الدافع التأملي يتنحى وتضيق دائرته في الفكر الانساني .

أما دافع القوّة فقد تبلور اليوم في متجهين أساسيين هما المتجه الصناعي وأسلوب الحكم يؤيدهما اتجاهان فلسفيان هما البراجماسية Pragmatism والفلسفة العملية Industrialism. وتدور كل فلسفة منهما بصفة عامة على الحقيقة القائلة إن الأفكار التي تختص بموضوع ما إنما هي أفكار حقة طالما أنها تؤدي الى نتائج عملية للفرد أو للمجتمع .

لكن للمعرفة شكلاً آخر غير شكلها التطبيقي وهو الشكل الذي ينتمي إلى بعض العواطف والمشاعر الانسانية . فالتصوف والشاعر والمتأمل الهائم ، كل واحد من هؤلاء عاشق من عشّاق المعرفة ، وإنما يتعشقها لمتعته الجمالية ، ولغذائه الروحي ، ويتقصاها

لفنائه العقلي — ولهذه المعرفة قيمتها رغم أنها قد تبدو بغير أثر مادي فعال . إنها مؤثرة في أعماق الوجدان وفي ارتفاع قيمة النفس وفي تنظيم مرامي الحياة وغاياتها الروحية. إن في كل لون من ألوان الميل أو الحب رغبة للمعرفة تدور حول ما نغرم به أو ما نميل إليه لا من أجل السيطرة ولكن من أجل التأمل والإمعان. وحيثما يثير فينا الموضوع خيالاً أو متعة أو سمواً ذهنياً أو عاطفياً فنحن نريد أن نستطلع أسراره بتلك الحاسة الجمالية لأن المعرفة تضفي على الموضوع ألواناً جديدة من الحب كما أنها تعكس أضواء رواقة تنوعه وتبهره أمام أبصارنا وتحرك حبنا له في أشكال متعددة . ومثال ذلك حب الجنس ، أو حب الفن ، أو حب الطبيعة . وقد تصل المعرفة بطريق الميل إلى حد التصوف . حقيقة يوجد دافع للسيادة ولكن المثير الرئيسي لهذا الشكل من المعرفة ، هو الميل الوجداني ، كما أنه يتغيا غاية المتعة والحب .

* * *

كانت هذه النظرة هي التي تميزت بها نشأة العلم كما تميز بها رواده الأولون من أمثال فيثاغورس ، وأرسطاليس ، وجاليليو ، ومن إليهم . لقد اجتذب الكون أبصارهم وسحرت مفاتنه ألبابهم فتأملوا أحداثه وظواهره مأخوذين مشدوهين .

وقد قام علم الفلك على استجلاء أسرار النجوم والكواكب والتطلع الى استكناه ألغاز السماء تطلع المحب الولهان .

ولكن التقدم العلمي ، وازدهار تطبيقاته وانتشار تأثيره وفعله المحسوس في البيئة وفي المجتمع — كل ذلك أدى إلى أن تفقد هذه النظرة التأملية قيمتها - وأصبحت المعرفة أداة طيعة للقوة لا للمتعة أو الهيام . ولم يعد عاشق الطبيعة يجد ما يجده المسيطر بقوة العلم من جزاء مادي في الحياة ، وإذا الفكر العلمي يفقد على مر السنين ذلك الجانب الإنساني الرفيع الذي يربط الذهن بموضوعات المعرفة بصلة الميل والحب الصادقين . وإذا الأصوات والألوان — والأضواء والظلال — والأشكال والتراكيب — تفقد محاسنها السحرية ومفاتنها الرائعة في نظر الباحث أو العالم — وإذا بالذهن التجريبي أشبه بالآلة التي تشرح هيكلاً عظمياً لا صلة بينهما من ميل أو شعور .

إن بين الفنّان وموضوع فنه . أو بين المثّال وتمثاله حبًّا وولهاً هما سرّ السعادة الداخلية التي تجمله يرتفع فوق المطامع الدنيوية ، ليستمتع عناصر المغامرة في الفن والإنتاج ، وحسبه هذه المتعة جزاء ووفاء . أما سمة العلم في العصر الحديث فقد جعلت العالِم لا يرتبط بأي رباط وجداني بموضوعات المعرفة التي يتناولها ذهنه ، ومن أجل ذلك طبع العلمُ مجتمعه بطابع القسوة والقوة المادّية والجمود العاطفي وعدم التعاطف بين العقول والقلوب . وهي سمة لا تنتمي الى العلم الصادق الذي يوفق بين الحب والقوّة .

فالظاهرة التي نراها تطبع الإنسانية اليوم — في تيارها المتطرف الذي ينبع من العلم ظاهرة مبنية على القوة وحدها فقد أصبحت القوة غاية في حدّ ذاتها . والذي يزداد قوة يسعى لمزيد منها وفي غمرة النشوة والزهو ينسى المرء نفسه وحاجاته الروحية ولا يقف متأملاً لينصت الى صوت قلبه ، وإلى آمال نفسه ، ولا إلى آلام البشرية من حوله . لقد امتدّت هذه الظاهرة حتى أصبحت القوّة في المدنية الزائفة إلـهاً يعبده الناس ، وأصبحت قيم المعنويات تسير في آخر موكب القيم الإنسانية .

* * *

إن العلم أكبر عون للإنسان ، وأعظم مؤثر في حياته بشرط أن يبقى على المثل العليا التي تتأصل في الوجدان ، وأن يدعم الغايات الإنسانية التي تكمن في الشعور وفي مرامي الفن وغاياته ، وأن يؤيد الولاء في أية صورة من الصور الروحية أو العقلية وأن يرفع قيمة النفس بهذه المعرفة التأملية التي ينبغي أن تستوعب جهد الإنسان ومغامرته . ذلك أن العلم إذا استطاع أن يهدم — فلا يبني ، وإذا استطاع أن يزعزع — فلا يقيم ، وإذا استطاع أن يحلل — فلا ينظم — فهو علم لا قيمة له . إنما العلم تؤتى ثماره الشهية إذا استطاع الإنسان به أن يوفق بين العقل والشعور ، ويوثق بين التأمل العاطفي والبحث العلمي ، وأن يؤلف بين المعرفة والحكمة ، وبين الادراك وحاسة الجمال .

المرجع : The Scientific Out book — Bertrand Russel

أسس الحياة الجيدة

للأستاذ الياس يعقوب

بعد أن إطمأنّ الانسان إلى حقه الصريح في البقاء، طفق يبحث عن الوسائل التي تعلي من شأن الحياة، وتزيد في جمالها. وهذه الحياة الجيدة التي ينشدها، حالة، أبعد ما تكون عن الحصر ومطابقة الوصف، لأنها لا تتعلق بشؤون العيش وحدها وهي ليست صنع فرد بل مجهود جماعات كثيرة، ولا تحدث في وقت يمكن تحديده. انها تشبه التراث العلمي الذي اسهم فيه العالم بأسره. وهذه الحياة الجيدة التي نحاول وضع أسس لها ليست نهائية في سلم التطور، وليست متماثلة بالنسبة للمجتمعات البشرية. لأن هذه متفاوتة في درجات الحضارة، ومختلفة في الخصائص العرفية والمميزات الجغرافية التي تكون عاملاً قوياً في تنوع الحاجات وتباين أهميتها. وان الاختبارات التي تراكمت تختلف بين أمة وأمة، ولا يجرؤ أحد على القول إن ما يصلح لأمة يكون صالحاً لكل الامم على السواء.

متى تتحقق الحياة الجيدة؟ — عند ما نتجاوز الأمر الواقع. هناك سبيلان لتجاوز الواقع: العنف والتطور. ان العنف تجاوز لحدود الثورة. والثورة لا يمكن أن تحدث دون أن تبيح العنف أحياناً. ومهما يعتدل الناس في قيادة الثورة ويصبغوا وسائلها باللين فانها تظل عاصفة لأنها تعبير صحيح عن السخط الكامن في النفوس بسبب تراكم الحرمان والظلم في نفوس الكثرة. ان تحجر بعض الأوضاع يفرض نشوب الثورة لأنها أفضل الوسائل للقضاء. على المفاسد ونصرة المبادىء الجديدة. وفي مثل هذه الحال يتحتم على الثورة الجديدة أن تعلن عن نفسها انها ترغب في اقامة نظام جديد أساسه ضمان الحقوق الشخصية والحريات الأساسية. وهي ليست إلاّ محاولة لتمهيد السبيل أمام حياة جديدة جيدة

ليست الحياة الجيدة ايثوبيا. في الكلام عن المدينة الفاضلة يطغى الخيال الذي ينصرف لتزويق وتنميق عالم سعيد في أرض يتنكر لها الواقع الجغرافي بشروطه وأوصافه. إن

المفكر يقبع في برجه العاجي ويفرض قيام هذه المدينة التي انبثقت عن الخيال وحده. إن أفلاطون في جمهوريته لم يُعنَ بأحوال بلاد اليونان أو مدينة آثينا ومدى استطاعتها أو قابليتها لتكون فردوساً للجمهورية المنشودة. أما في محاولة وضع الأسس للحياة الجيدة فاننا نتأثر بالواقع السيء ونسعى لازالته. والحياة الفضلى تقوم على أنقاض هذا الواقع. وان المجتمع السعيد لا يتحقق بمعزل عن مؤثراته الطبيعية، وامكانياته الاقتصادية، وشؤونه الاجتماعية. ولهذا لا تكون الحياة الجيدة على نمط واحد في سائر الأقطار. إن المجتمع المصري، مثلاً، لا يسعد بنفس الوسائل التي يمكن أن تؤدي الى إسعاد المجتمع السوري.

ما هي المميزات التي تختص بها الحياة الجيدة؟ إن المجتمع لا يسعد إلا إذا تمت له سيادته لنفسه وعلى مرافق بلاده. وما دام يرزح تحت سيطرة الأجنبي المغتصب فانه لا يتذوّق طعم الهناءة، ولا يجد الفرصة المناسبة للانتاج والبناء. إن هناك شعوباً صغيرة ضعيفة تبدد حيويتها وقواها لزحزحة النير الذي وضعه الأجنبي بدون ما رغبة منها. إنها لا تتذوّق إلاَّ المرارة، وتنظر إلى العالم كله بعين الحذر والكراهية. إن الشعوب المضطهدة المستعبدة التي يقع العدوان على حقوقها أو أرضها تتمثل العداء والخيانة في كل يد تمتد اليها، وتزول الثقة من نفوسها انها تنظر إلى المستقبل نظرة تشاؤم وقنوط. إن الشعوب لا تحيا إلاَّ بالحرية كما أن الانسان لا يعيش إلاَّ بالهواء الذي يستنشقه. ولهذا كانت السيادة القومية، سيادة الأمة لنفسها وعلى مرافقها الدعامة الأولى في صرح الحياة الجيدة.

وينبغي أن يحدث نوع من الرضى الناشيء عن القناعة بالحظ الذي يناله كل إنسان، وبالعدل الذي يقضي باحترام الشخصية الانسانية في كل فرد والاعتراف بما لها من حقوق، وهذا التناغم الاجتماعي لا يمكن أن يحصل إلاَّ عند فقدان الجور الذي تتمخض عنه كل خصومة وكل حقد، وعند فقدان الفروق الشاذة التي ولدّتها الظروف السيئة. وهذه الحالة الفضلى لا تكون فردوساً لفئة وجحيماً تشقى به فئة أُخرى، إذ في جوها تزول مرارة الحرمان وآثار البؤس. وما دامت هناك هوّة سحيقة بين فرد وآخر من ناحية الثقافة أو الصحة أو المسكن أو جميع شؤون الحياة فلا يرجى حصول الرضى والاطمئنان. ان المواطنين لا يحفرون قبراً للوطن ولا يدقون آخر مسمار في نعشه إذا ما غذاهم بخيراته دون محاباة أو تحيز. وان الانسان لا يخلص لوطنه وأمته إلاَّ عند ما ينيلانه الرضى والطمأنينة، وعند ما يقنعانه عفواً، إن سعادته رهن بقائهما في عز وخير.

ومن مزايا الحياة الجيدة أن يتطوّر تفكيرنا. يجب أن يتجاوز تخوم الانانية وما تثيره

من مشكلات ، لكي نفكر ونهتم بشؤون الآخرين . ان تفكيرنا في غيرنا او الاشتراك مع غيرنا في التفكير بأحوال الجماعة الكبيرة — الأمة — يجعلنا نحي قضاياها الخاصة والعامة ونتضافر لايجاد الحلول الصحيحة لهذه القضايا. ان تفكيرنا ينبغي أن يكون اجتماعيًّا. فالأنانية والنزعة الطبقية أو المذهبية لا تأتلف والتفكير الاجتماعي وليست من أسسه. في التفكير الاجتماعي خروج من القوقعة التي تنكمش فيها الذات فنحرم لذة النماء ونعمة الصفاء ونحرم لذة البذل والعطاء. فيه ندرك أن لغيرنا من الحقوق ما لنا ، وان هذه الحقوق لا قيمة حقيقية لها إلاّ بقدر ما تنال من التقدير والاحترام من قبل الآخرين . الق هذه البذور تجعل مهمة الدولة سهلة ، وتقضي على النزاع الطبقي ، وتعمل من غير ما قصد على قيام المؤسسات الاجتماعية ذات الأهداف السامية .

ولكي تتحقق الحياة الجيدة في أمة ما ينبغي أن نحس توزيع العدالة بين مختلف الفئات التي تؤلف الهيئة الاجتماعية ونضبط العوامل التي تنشأ عن الحياة ضمن المجتمع . فالسيطرة فيها يجب ألاّ تكون من نصيب طبقة معينة خوفاً من أن يكون هناك ظالم ومظلوم ، وحاكم ومحكوم . فلا تقبض يد على الحقوق وتلقى الواجبات على عاتق فئة أخرى ولا تتفاوت الحظوظ بين المواطنين لدرجة شاذة ومخيفة ، كأن يمعن بعضهم في الارتفاع بينما يمعن بعضهم الآخر في التقلص والاختفاء وتموت فئة من التخمة والكسل والسأم ، بينما تموت الكثرة جوعاً ولا تأكل لقمتها إلاّ مغموسة في الدم والعرق والدمع ، وتتمنى لو منحت فراغاً لتتذوّق طعم الراحة .

ولا يتاح لواحد أن يكون في قمة الهرم ، بينما يكون السواد الأعظم في سفحه ، ولا يفسح له المجال لكي يستنزف قوّة الجماعة ويستغل ألقابها ليثري ويسمن على حسابها ، كما أنه يجب صيانة الفرد خوفاً من أن ينسحق تحت وطأة الجماعة . ولا تجعل المدينة قبلتنا فنخصها بسائر الخدمات الاجتماعية من تمهيد طرق ، وطب ، وعلم ، وتجميل ، وأمن ، ونظافة ، ونور ، وماء ، بينما يرسف الريف في أغلال الجهل ، ويحصد المرض أبناءه ، وتضني أهله الأسفار الطويلة واضطراب الأمن وفقدان كل أسباب الراحة والهناءة ، إن الشعار يجب أن يكون الخير الأعظم للسواد الأعظم .

وكيف يتسنى للمرء أن يتذوّق اللذة في الحياة إذا لم نعمد إلى إزالة المضايقات ؟ هناك نوعان من المضايقات التي تظل مصدر شكوى وقلق ومنافية للإطمئنان وراحة البال : المضايقات التي تأتي عن الطبيعة ، وتلك التي تنشأ عن الحياة الاجتماعية .

إن الإنسان لا يتمكن من استئصال المضايقات الطبيعية وإزالتها من الوجود ،

لكنه يستطيع أن يتلاءم معها ويكيفها، إلى حدٍّ بعيد، حسب المقتضى. وإن سعادته تتآخى في الأماكن التي يستطيع أن يتغلب فيها على هذه المضايقات: فتتسع الرقعة الصالحة للزراعة والمواصلات والعمران بتجفيف بعض المستنقعات، أو ردم البحيرات بغية توسيع الأرض، وصد غزو الرمال، وتطهير بعض المناطق من الحميات والأوبئة. يمكنه أن يغرس الشجر في بقاع كثيرة تصد تلطيف الجوّ أو تثبيت التربة، ويستثمر المناطق الصحراوية بوساطة شبكة من الأقنية أو باستخراج المياه الجوفية. وهكذا فانه يساهم في زيادة مواد التغذية، ويوجد أرضاً جديدة يتوجه الإنسان المهاجر إليها بدلاً من الأطماع التي تحرك الجماعات للسطو على أرض الجار. ويمكنه أن يكافح الجفاف بوساطة الخزانات والسدود، ويقضي على المجاعات بإقامة شبكة متقنة من خطوط المواصلات التي تضمن نقل المؤونة بسرعة إلى الأماكن التي اجتاحها القحط وانتشر فيها الجوع. ما أكثر المدن والقرى التي تشكو الظمأ بينما يجري الماء الى البحر دون ما نفع، فلماذا لا يعمد الى جر المياه أو الى رفعها من مجراها المنخفض لنقلها إلى أماكن أكثر ارتفاعاً؟ إنه لا يستطيع إطالة النهار أو استمراره لكنه لا يعجز عن تبديد الظلام الذي لا يزال يغشي المدن والقرى. ان التلاؤم مع الطبيعة من خصائص الانسان الراقي، أما التأثر بأحوال الطبيعة فانه من صفات الانسان البدائي الذي تجرد من كل قدرة على تكييف الطبيعة.

وهناك مضايقات ليست ناشئة عن الطبيعة بل منبثقة عن التنظيم السيء وانحطاط المعاني الأخلاقية. أن الانسان ينهشه همان: العوز والخوف ولا يزال يبذل الجهود المستمرة ليتحرر منهما.

إن انعدام العدل في توزيع الخيرات على وجه صحيح يجعلها تتراكم هنا وتندر هناك. إن القلق لا ينفك يساورنا ويستبد بنا ما دمنا لا نستطيع الحصول دائماً على ما يلزمنا من كساء وغذاء وسائر الوسائل التي تحقق سلامة الجسم من الأمراض وتؤمن له امكانيات القوة والنمو. ان هذه الأمور ليست كل شيء في حياة الانسان، لكنها حاجات اساسية لا يمكن الاستغناء عنها. ان توفرها يضمن لنا مستوى مرضيًا الحياة ينتج من جراء المنافع المادية التي تتمكن أسرة من الحصول عليها لقاء اتعاب تكبدتها أو خدمات قامت بها. وان هذه الوسائل التي تكوّن مستوى الحياة لا تقف عند حد من ناحية المقدار أو التنوع، بل إنها ذات قابلية للتطور في الاتجاه الذي يسلكه المجتمع. فهي في مجتمع زراعي تختلف وتتبدل إذا ما انتقلنا الى مجتمع صناعي أو بدوي. إن تنظيم الناحية

الاقتصادية يتيح لكل إنسان أن يصبح منتجاً بطريقة من الطرق ، فيشعر وقتئذ بالكرامة والحرية عندما لا يرى نفسه كلاً على سواه، ويتطهر قلبه من أدران الحقد والحسد اللذين يقلقان راحته ، ويدفعانه الى معاداة بعض الناس الذين ارتفعوا فوقه .

*

وممّ يخاف الإنسان ؟ إن الطب قد صانه من الأوبئة الفتّاكة ، وأوجد علاجاً لمعظم أدوائه . وان قوى الأمن المنظورة وقوة القانون غير المنظورة تسهر على راحته وتحفظ له مخزنه ومعمله وبستانه وحقله وماشيته حينما يكون منصرفاً للهوه أو غارقاً في نومه . إنه يقبع الآن وراء جدران كثيفة ومتينة، وفي طبقات عالية يرتد عنها الطرف كليلاً ، ويعز على السحاب أن يبلغ ذراها وعلى الرغم من كل ما ذكرت فانه ما برح فريسة للخوف وهذا الخوف يقض مضجعه ويشيع الهموم في نفسه ، ويحول دون استجابتها لرغباتها أو انطلاقها على سجيتها وما دام الخوف مخيماً على جوّ نفسه فلا قيمة حقيقية لكل الضمانات المادية التي تبذل له على حساب أمنه النفسي . إنه يريد أن يحيا حرّاً ، حرّاً في أقواله وآرائه ، حرّاً في معتقده ، حرّاً في أعماله التي لا يمكن أن ينشأ عنها خطر يلحق غيره . لا لأنه ينشد حياة خلت من كل قيد أو نظام ، وخلت من قوانين تحدد الحقوق والواجبات ، وتشير الى الجائز وغير الجائز ، بل لأن المغالاة في تطبيق القوانين ، أو المحاباة في تطبيقها ، قد أرهقته . إنه لا يريد ، كما يجري في بعض البلدان الدكتاتورية ، أن تمتد أصابع القانون الى أقداس النفس ، وتنفذ عينه وسهامه إلى ما ندعوها بحقوق الانسان الأساسية. ان الحياة لا تكون سعيدة ما لم يمارس حق الحرية على وجهه الصحيح وعلى أوسع مدى دون عائق . لأن القيم والمثل العليا ، وهي اجتماعية ، لا يمكن أن توجد وتنمو إلا في جوّ من الحرية ، ولا توجد إلا بالحرية . إن الانسان ينشد حرية الكلام والنشر والمعتقد

ومن المؤسف أن يحجر على الحرية في هذا العصر مثلما يحجر على المصابين بالأوبئة . ومن العار أن تنشب الثورات أولاً في سبيل الحرية ، وتتركز قوة الشعوب ضد الطغيان والاستبداد المطلق ، بينما تدخر القوّة والسلاح للحد من الحرية واستئصال جذورها من رأس الشعب .

وإذا كان الإنسان ينتسب لأمة معينة ، ويقر لها بالولاء ، ويعمل لها بإخلاص ، يجب

ألاّ يحول بينه وبين تجاوز التخوم فيسافر أنى شاء، وبالوسيلة التي يشاؤها، ويقطن حيث يحلو له. إننا لا نستطيع وضعه في قمقم. ولا يمكن أن يسعد إذا تحولت أرض الوطن الى سجن كبير يسجن فيه المواطنون. لماذا لا يسافر ليرى العالم بعينيه، ويتعرّف اليه بادراكه وحسه، ويدركه على حقيقته. انه يعرف أن هناك شعوباً متمدنة وأخرى متأخرة، ومناطق حارة وأخرى باردة، وان هناك غابات وجبالاً وبحيرات... فلماذا لا يسافر ليرى كل شيء في موطنه الأصلي دون أن ينهض حائل؟

وان الأمور داخل المجتمع ليست دائماً ترضي، بل كثيراً ما تهدر القيم والمثل، وكثيراً ما يحدث شذوذ، فلماذا يحرم عليه، كمواطنٍ، أن يشير إلى الخطأ، وينبه ويرشد الى ما هو أكثر صواباً؟ هل الحق كلمة سر لا يعرفه إلاّ فئة معينة أوتيت العقل والحكمة والرشاد، أم أن كل ذي عقل منير يتمكن من معرفة الحق؟ انني لا استطيع أن أتصور مجتمعاً بشرياً ينعدم فيه التمايز الفكري والتنوع. إن التمايز لا أثر له في مجتمع بدائي وفي مجتمع حكومته بوليسية.

*

في جو الحياة الجيدة المرتقبة لا أثر للارهاب أو الاستبداد. إن حرية الفكر مباحة بشرط ألاّ يقصد إلاّ الخير، خير الجماعة التي نكون منها وإليها، ولا نروم إلاّ اصلاحها. إن هذا الخير وهذا الاصلاح لا يتمان إلا إذا أفسحنا المجال لصراع العقائد والمبادىء. إن العقائد لا تحارب بالحديد والنار، ولا بالضغط والارهاب، بل بعقائد أفضل وأجمل. وكل سلاح يستعمل في معركة الصراع غير هذا السلاح يخل بشرف الصراع وينتقص من قدره. إن اللجوء إلى العنف لتقييد حرية الرأي بربرية من طراز جديد. إن العقائد لا يمكن أن تتجلى قوتها أو ضعفها إلاّ إذا خضعت للنقد والمقارنة والتمحيص، فان خرجت سليمة من جميع هذه المعارك أمكن الحكم عليها بالصحة. لقد أصبح الفكر الحر في هذا العصر، في بعض البلدان، لعنة تصيب صاحبه. وان جواً كهذا الجو الخانق لا يساعد مطلقاً على ولادة أفكار جريئة جديدة. وإذا لم يقدر للآراء المتوارثة أن تتشذب وتتهذب أو تلقح بمصل مبادىء فتية جديدة فانها تشيخ وتفسد. وإن جلال القدم وأبهة الماضي غير كافيين لابقائها مستمرة.

إن الحياة الجيدة لا تكون في تحقيق المساواة المطلقة، وهو أمرٌ مستحيل، كما انها

لا ترمي إلى صوغ الناس صياغة واحدة كي ينشأوا نسقاً واحداً . بل إنها لا تكون إلا في التنوع الذي يدوم وينمو . من يجرؤ على القول إن الأرض تصبح أجمل مما هي عليه الآن لو أزلنا التضاريس ، أو لو تماثلت الفصول ؟ يجب أن يخلى بين الناس والأساليب التي ثبت صلاحها بالاختبار . ومن ثمّ فان التنوع في انماط الحياة لا يكون إلاّ من خصائص المجتمعات الراقية التي سمت نظرتها الى الحياة والكون . وكلما انحدرنا في سلم الحضارة تعذّر علينا العثور على النماذج المتفوقة الفذّة إن الناس يختلفون في أذواقهم ، وهذا يتجلى فيما يستقبحون أو يستحسنون من الشؤون . وانهم يختلفون كذلك في الطبائع والخصائص وكما اننا لا ننجح إذا حشدنا جميع أنواع النبات في منطقة مناخية واحدة ، لأنه يستحيل أن يجد كل نبات ما يلائمه من حرارة ورطوبة في مثل هذا المناخ . فهكذا نرى أن جو الحياة الواحد لا يوفر جميع الشروط لنمو النفوس وتفتح المواهب .

*

ليست الحياة الجيدة من مستلزمات الأمم التي تطرّق الهرم إلى بنيتها ، وأصبحت عوامل الفناء تفعل فيها أكثر مما تفعل عوامل البناء ، بل من مقتضيات الأمم الفتية ، التي تتدفق حيوية ، وتتطلع الى السؤدد والعز ، وتمضي قدماً إلى الأمام . وانها تودع الحياة الجيدة عندما تشعر انها أصبحت بدون رسالة ولا غاية ، فتخاذل وتتفسخ ، لكن يسير المطرد الى الأمام ، لا يتطلب السرعة بل ينشد الاتقان . لأن الاسراع في البناء الاجتماعي قد يكون خطراً يجب تجنبه أو كسر حدته ، لأنه يخشى في مثل هذه الحال أن يصاب الصرح الاجتماعي بصدمة عنيفة فيتصدع ويتوقف عن التقدم ، لأن الآراء التي لا تتبلور أولاً في النفوس تظل عرضة للطارح . أما إذا تركزت وأصبحت بمثابة العقيدة فانها تكون وقاء يقي التطور من الانتكاس فالفشل . والتقدم لا يمكن أن يتم إلاّ بولادة إرادة عامة ، موحدة القصد والمصير ، وبتوازن تام بين كفتي الحقوق والواجبات وهذا التوافق الكلي لا يحدث إلاّ إذا آمنا أن مصلحة الأمة فوق مصالح الأفراد جميعاً . وكل مجتمع لا يمكن أن يتطوّر إلا إذا شاء أبناؤه ذلك . وانهم لا يحسون دبيب الحياة في نفوسهم إلاّ عند ما يدركون انهم مدعوون لأداء رسالة نبيلة ، ويشعرون انهم لا يخرجون من مهاوي الذل إلى قمم العز إلا إذا حققوا هذه الرسالة . وكل حركة لا يحدوها أمل ولا تنشد هدفاً لا تصيب النجاح .

(سورية)

قصيدة

إليها..

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

شَرِقَ الكأسُ بالرُّؤى   فاغنمي متعة الصباحْ

*

ها هنا الروض ضاحكاً   ها هنا الزهرُ والأقاح
ها هنا فرحة الحما   ئل في نشوة الصُّداح
غرَّد الفجر حالماً   مالئاً مسمع البطاح
هوذا الورد ينفث الـ   ـعطرَ في غير ما جناح
والأمانيّ رفرفت   ثمَّ خفاقةَ الجناح

*

إسقني خمرة الهوى   ودعي المين والمزاح
وخذي الناي وانشدي   أغنياتي مع الرِّياح
قد كفى القلب ما دها   ه من اليأس والجراح
قد كفى الرُّوحَ ما شجا   ها من الجهد والنواح
قد كفى الجسم سقمُه   وتلظيه بالطماح

*

إغنمي بسمة الحيا ة وترنيمة الصباح
فلكم صدري المشو ق على صدركِ استراح
ولكم نهدك النفو رُ شكا غلسة الوشاح
ولكم قد رشفت من ثغرك العذب كأسَ راح
فدعيني أصل من متعَ الروح ما يباح

*

أنا طير مقيّد مثقل أبتغي السراح
اطلقيني على المدى في جنانِ الهوى الفساح
اطلقيني على الربى أملأُ الكون بالمراح
ودعي نبضة الغرو ر وأوهامه الشّحاح
فغداً تثلج العرو ق ويستعبر الصداح

*

شرِقَ الكأس بالرؤى فاغنمي متعة الصباحْ

استدراك : كلمة أصل التي في السطر الخامس صحتها : أعلّ

من بحوث السياسة الدولية :

حلم الحكومة العالمية (١)

بين الخيال والواقع

للاستاذ صلاح الدين الشريف

لا غرابة أن يحار الباحث السياسي في هذا العصر عندما يحاول أن يهتدي الى رأي سواء أو حلٍّ وسط لأزمة الحضارة التي تكاد تستعصي على كل حل في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التاريخ الحديث . فأيما باحثٍ في مشكلات الاجتماع والسياسة مزحوم الذهن أبداً بشتيتٍ من صور التفكير و « التلفيق » إزاء غلبة هذا الفيض الزاخر من عديد المشكلات والازمات التي تزحم اليوم الأفق الدولي ، ويلاحق بعضها بعضاً في سلسلة عجيبة تتشابك حلقاتها على نمط فذّ وغريب . نمطٍ يجعلها تأخذ على مسرح الأحداث العالمية الراهن مسحةً خاصة من التعقيد والتميّع في وقت معاً ، إلى حدٍّ تكاد تطبع معه — أي هذه المسحة المتغلغلة — عصرنا الحضاري كله بطابعها العجيب الرهيب .

والحق إنه إذا كانت أية محاولة جدية للاهتداء الى رأيٍ « واقعي » عملي يستقيه الباحث السياسي من صميم هذا المحيط المليء بأحداثه ، أمراً عسيراً ومطلباً مريباً يبعث على مزيد من التأمل والعجب والحيرة ، فكم بالحري يكون أثر هذا الارتباك وصدى هذه الحيرة في دنيا الفكر السياسي ، وبالتالي في محيط الواقع المادي ، بشتى أوضاعه وسياساته ونظمه ، إذا اصطبغ التفكير السياسي للباحث المفكر بصبغة خيالية ظاهرة ، تحاول أن تجاوز دائرة التفكير المجرّد لتواجه بحلولها العرجاء وتلفيقاتها الظنية والنظرية

---

(١) المقتطف : هذا المقال ملخص كتاب ظهر حديثاً للعلامة كاهلر ولخصته مجلة Foreign Affairs الاميركية في عددين متتابعين

معترك « الواقع » بأحداثه المتراكبة ذات الدلائل المادية التي لا تُجحد ؛ وكم بالحري يكابد هذا العالم ويعاني من جراء هذا اللون من التفكير الخياليّ ، وكم يحق لهذا العالم أن يتشاءم من مصيره ، ما دام قصارى رأي فلاسفته السياسيين وغاية جهدهم أن يصدروا في تفكيرهم أو في تقصّيهم للحلول الممكنة لمشكلات الحضارة عن اندفاع إيديولوجي محلق أو عن نزعةٍ مثالية مسرفة ، قوامها خيالٌ عقيم لا يُغني ولا يُسمن . خيالٌ لا يكاد يتقيد في انسراحاته البعيدة المضللة بقيد ولا ضابط !

ويحلو للباحث « الواقعي » في أصول هذه المشكلات ، أن يستعرض على لوحة ذهنه أمام زحمة هذه الاحداث المدويّة في آذان العالم اليوم، وأمام حاجة هذا العالم الى ليوتوبيا دولية جديدة — يحلو له أن يستعرض أهم الجوانب الواقعية ومعها أيضاً تلك العناصر الخيالية التي تشكل أو تصوِّر في الذهن فكرة « الحكومة العالمية » أو بناءها النظري ، وهي الحكومه العليا التي كانت ولا تزال حُلُمَ الانسانية الاكبر منذ مطالع تاريخها الحديث . ولسوف نرى كيف يتكشف مثل هذا البحث الاستعراضي الموجز ، في هذا الموضوع الرئيسي من موضوعات الفكر والحضارة ، عن مدى العقم أو القصور الذي تنطوي عليه كثير من المحاولات الذهنية التي يطلع بها على الرأي العام العالمي ، بين وقت وآخر بعض فقهاء الاجتماع وكتّاب السياسة في العصر الحديث !

إن الطابع « التراجيدي » أو الفاجع لهذا العصر العجيب ، يتجلى في ازدياد شعور الانسان العصري بالقلق الدائم على مصيره ومصير الحضارة ، فضلاً عن إحساسه العميق المتأصّل ، إزاء عديدٍ من المخاوف التى تتجاذبه متلاحقة في عنف وقسوة ، بأن مستقبله ومستقبل هذه الانسانية التي تجمعه وإياها جامعة الجنس محروم إلى أبعد حدٍّ من كل عوامل الاستقرار والثقة والأمن . فهذه المبتكرات والمستخدمات العلمية التي كان أبناء الجيل الماضي يعتقدون اعتقاداً غريزيّاً أنها قادرة على إنقاذ الحضارة من عادية كل سوء أو شر أو عقم تستهدف له ، أضحت هي نفسها مصدراً أصيلاً من مصادر هذا الشر وباعثاً جهنميّاً من بواعث ذلك القلق ؛ إن لم تكن عاملاً من عوامل زيادته ومضاعفة آثاره وظواهره في محيط الاجتماع .

ومن ثمّ اكتسبت مشكلات الحضارة ، عن طريق هذا التقدّم العلمى والفني المسلّح بكل أساليبه ومستحدثاته ، طابعاً بارزاً من التعقيد والاستعصاء ، وهذه نتيجة عكسية لما كان يرجوه أبناء جيل أو جيلين مَضَيَا من خيرات ونعم تُغرق في فيوضها الثرة بني الانسان ، وترحض عنهم مناكر عيشهم السالف.

ولسنا ننكر مع ذلك أن هذه المستحدثات الفنية التي تلاحقنا بها قوى التوليد والاستنباط الكامنة في صميم الحضارة، قد أفلحت في خلق أو تكوين مجتمع دوليّ «بدائي» إن صحّ هذا التعبير، أي مجتمع لا يزال في أول أطوار نشوئه وتكوّنه. ولكن هذه القوّة الخلاقة المولّدة لم تستطع بشتى مستحدثاتها وفنونها أن تسدّ ثغرات النقص أو تقوّي نواحي الضعف في هيكله، لتكمّل له مشخّصاته الضرورية، دعائمه اللازمة لارساء كيانه من النواحي القانونية والسياسية والأخلاقية كافةً

على أن هذه القوة المبدعة أفلحت في خلق دول أو مجتمعات قومية يعتمد بعضها على بعضها الآخر، ولا يستطيع واحد منها أن يرد نفسه عن دواعي هذا الاعتماد ومطالبه، وإن تفاوتت نسب ذلك بتفاوت مجتمعات الحضارة من حظوظ الموارد والمرافق والاقتدار العلمي والفني على الاستنباط والاستغلال؛ فالعيش في عزلة اجتماعية كاملة، أو حتى شبه كاملة، عن سائر المجتمعات الأخرى قاصيها ودانيها، لم يعد أمراً ميسوراً كما كان الحال فيما سلف من عهود التاريخ.

ولكن حقيقة هذا الاعتماد أو «الارتفاق» الحيويّ المتعدّد الأطراف والحقوق جديرة بالتأمل والتبصّر، فهو على ما طَوّعَ لدول الحضارة من أسباب التبادل والتعارض في شتى منافع الحياة، لم يستطع مع الأسف أن يطوّع القيم الأخلاقية الرفيعة التي لا غناء عنها في تبادل خلائق الصداقة والثقة والتوقير وحسن الجوار، وهي مقوّمات جوهرية لا يقوم بغيرها مجتمع دولي له قانونه وجيشه ونظامه المحترم.

والتعاون الدوليّ لا بد له أن يبلغ، بادىء ذي بدء، مرحلةً من التناسق والتكامل يبلغ عندها تمامه وعنفوانه، ليستحيل بعد ذلك ومن تلقاء نفسه، صورةً نظامية متجانسة تَرقى بجهد فقهي يسير إلى مجتمع عالمي، أو بالحرىّ إلى حكومة عالمية؛ ومثل هذا الجهد الفقهيّ يعد بمثابة التسجيل التشريعي، وبالتالي الاعتراف الواقعيّ لهذا الطوْر الارتقائي الموموق من أطوار الحضارة.

وبغير هذا الأفق الأعلى من التعاون الكامل والتضامن العالميّ الوثيق في تأكيد حرمات انسانية ومُثل أخلاقية وقانونية دولية ودعمها بالجزاء الاجماعىّ الرادع عند الاقتضاء، لا يكون من وراء اطراد التقدّم في سير هذه المستحدثات والفنيات إلاّ العمل الدائب على زيادة عوامل التنازع والشحناء والمنافسة الاقتصادية المحتدمة بين شعوب الحضارة، وهذا حقيقٌ أن يؤدي بدوره إلى انكماش ذريع لهذه المثُل التي تمهد لقيام مجتمع دولي له حكومة عالمية، لتقوم على أنقاضه مجتمعات «الاكتفاء الذاتي» المتوجسة المتحاربة، وبهذا

تتسع على الأيام تلك الفجوة أو الوهدة العميقة التي تفصل بين طرازين من العالم، عالمٍ اكتملت له فنياته ومخترعاته ومستحدثاته، وعالمٍ لا زال يحبو كالطفل من ناحية المعايير الخلقية الدولية، فتتعدد تبعاً لذلك انقساماته وانشعابات عقائده ونظراته في النظم السياسية والاقتصادية على السواء.

ويذهب المسرفون في التفاؤل من مصير الحضارة الانسانية إلى أن هذه الفجوة المشئومة من الميسور تخطيها أو سدّ فراغها الرهيب عن طريق واحد لا سبيل إلى سواه، هو العمل الدائب على إقامة مجتمع دولي موحَّد النظم في ظل دستور أعلى تستظل به حكومة عالمية تستطيع بإمكانياتها الدستورية أن تسيطر على مصاير هذا المجتمع الدولي وتوجِّهه لخير الإنسانية العام لا فرق بين أجناسها أو ثقافاتها أو مناسيب ارتقائها.

على أن هذا الأمل الوهمي، أو بالحري هذا الخيال النظري الخصيب، هو الذي يُسبغ على مشكلات العالم الحاضرة طابعاً فاجعاً يزيد في عمق الاحساس بمأساة هذه الحضارة التي عجزت عجزاً شائناً عن حل مشكلاتها، ولم تكتفِ بهذا العجز الذي عَقَّدَ أمورها جميعاً بل أضافت إلى أفق هذه المشكلات المظلم جوًّا أشد إبهاماً وبلبلة قوامه بريق زائف من الأوهام والخيالات!

ووهمٌ كهذا لا يخدع فريقاً من فلاسفة الأخلاق وفقهاء السياسة فحسب، بل لعله ملهٍ اليوم فريقاً آخر ممن تُمدهم ظروفهم ومراكزهم للاطلاع في يوم قريب أو بعيد، بتصريف شئون السياسات الدولية في الأمم ذات النفوذ الغالب في مجال هذه السياسات، فيظلون يتخبطون في وضع وتنظيم برامج سياساتهم الخارجية، ذات التوجيه والأثر العالمي، لأنهم ينسون الواقع ومشكلاته العاجلة التي تتطلب حلولاً عمليةً عاجلة وعادلة، ليحلقوا بأبصارهم المخدورة إلى آفاق المُثُل البعيدة ذات الوميض البرّاق! ولكنهم بهذا إنما يخدعون العالم إذ يخدعون أنفسهم، ويحيلون الأمر في علاج مشكلاته الضخمة المتعقدة الى مجرّد حلول مثالية بلهاء تقرب في هذا الطور الحضاري على الأقل، من حدود الاعجاز.

إن كل بحث أو جدل يدور حول هذا الموضوع يستند في صميمه الى فرض بسيط خلاصته أن مجرد الرغبة الاجتماعية في تحقيق نظام عالمي تخضع له أمم الحضارة، تكفي بذاتها لتأكيد القدرة على تحقيق حلم الحكومة العالمية!

والاستقراء السليم لظروف العالم وأحداثه الحاضرة، يؤكد مع الأسف الشديد عكس هذا الغرض أو ظنيته، فهو يثبت بأنصع الأدلة عجز العالم، من الناحية الاخلاقية ومن الناحية السياسية، عن إقامة حكومة عالمية بالمعنى الاصطلاحي المقصود رغم رغبته

الاجماعية ، مع ذلك ، في إقامة نظام عالمي كامل تخضع له الأمم كافة !

إن حكومة كهذه لا يكفي في تحقيقها ، باعتبارها عملاً نظامياً أو قانونياً كبيراً ، مجرد نزوع ارادي للأسرة الدولية نحو استملاء قواعد الفقه الدولي ومقرراته كلها لصياغة الشكل المطلوب ، كما تثبت ظروف العالم من ناحية أخرى ، عجز حكومة كهذه، حتى على فرض نجاح العالم في تحقيق فكرتها في العقود القادمة ، عن جمع شمل الدول كلها إلى حد تكتيلها في مجتمع دولي متجانس المصالح متحد المنافع متساوي الحقوق والواجبات إذ ليس ثمة بعد ما يمكن أن نسميه بـ « النسيج الاجتماعي الحي » لمجتمع كهذا ، مع انه شرط جوهري ، بل مقوّم لا غناء عنه من مقومات الحياة لكيان كل مجتمع . ويؤكد فقهاء الاجتماع أن هذا « النسيج » أسبق وجوداً ، في مراحل التطور الاجتماعي ، من نظام الحكومات ذاته .

ويذهب فريق من المنافخين عن فكرة الحكومة العالمية إلى فرض آخر بعيد ، يزعمون فيه أن الأمم ليس عليها إلا أن تتبع ، في تحقيقها لهذه النقلة الجبارة لعجلة الحضارة ، خط سير التاريخ الاجتماعي للأفراد ، عند محاولاتهم الأولى تكوين مجتمع انساني منظم فهم قد كتلوا إرادتهم جميعاً لتنصب في صورة اتفاق رضائي عام يكون بمثابة السلطان الممثل للشريعة والنظام في المجتمع وهو السلطان الأعلى الذي ارتضت هذه الارادات كلها الخضوع له والتقيد بأحكامه وجزاءاته .

وأياما كانت مذاهب الجدل ومدارسه المتباينة التي قامت لمعارضة فكرة المجتمع الانساني القائم على التعاقد الجمعي أو الارادي للأفراد ، فان ثمة حقيقة تاريخية بارزة لا يجمل أن تغيب عن بالنا في هذا المجال .

وهذه الحقيقة لها الأرجحية في كل قياس أو مقارنة تُعقد بين سلوك الأفراد الاجتماعي في تكتلهم لتأليف مجتمع قومي وبين سلوك الدول أو محاولاتها ، منفردة ومجتمعة ، لتأليف مجتمع عالمي . إن كل مقارنةٍ من هذا القبيل تؤكد إذن هذه الحقيقة ، وهي أن تقديس الحقوق الفردية في مجتمع قومي يعد سليقةً غريزية هي أقدم في التكوّن والنشأة من أي نظام قانوني وضعي عرفته « الجماعة الإنسانية » على مدى تاريخها ، وبالتالي فإن قداسة الحق الفرديّ أعرق أصولاً من كل تقنين فني اهتدى إليه المجتمع بعد تطوره من مرحلة العرف والعادة إلى مرحلة النظام السياسي المفصّل والتقنين المنسّق لنصوص القانون الموضوع .

ولن تكون قوة « الجبر الاجتماعي » Contrainte Sociale التي تمثّل سلطة الإلزام

في المجتمع ذات أثر حاسم وفعال ما لم تكن ممثلةً للإرادة العامة للجماعة تمثيلاً صادقاً ، بأن تكون صادرة عن ضميرها العام منبثقة من وعيها الجمعي Conscience collective

ومعنى هذا أن مجرّد الالزام أو السلطان لا يرقى في القدرة إلى حدٍّ أن يصنع الحق صنعاً ، فضلاً عن تأكيد قداسته وغرس احترامه في النفوس . والمجتمعات الوطنية لا يُقاس مدى رقيها وتضامنها إلا بمدى فهمها لروح القانون واحترامها لأحكامه وصدق تمثيلها لتطوّراته كافة ، وليس بمقياس خشيتها الظاهرية لبأس هذا السلطان المرهوب ، مهما تكن قوة إلزامه المستمدة من صراحة أحكامه وجزاءاته .

وما يصدق على المجتمع الوطني يصدق كذلك على مجتمع « الأسرة الدولية » فكما أن القانون وحده لا يصنع الجماعة ولا يخلق روحها ، بل هي الجماعة التي تخلقه وتصوغه روحاً ونصّاً ولا تني تعدل فيه ليوائم حاجياتها المتطوّرة على الزمن ، فان هذا القانون بكل ما له من جلال وسلطان وهيمنة ، لا يتأتى له أن يخلق بمجرّد تقنين فني للنصوص أو صياغة محكمة للمبادىء والأحكام ، مجتمعاً دوليًّا متجانس الميول موحّد النزعات متعادل الحقوق والواجبات ، ينتقل في مرحلة تطوّر خاطفة ، تقاس بشهور أو بأيام حسبما تستغرقه صياغة النقلة ، الى اعتناق وتحقيق نظام الحكومة العالمية !

بعد هذه المقدّمات المحدّدة ، نستطيع أن نحصر أوجه الاستحالة العملية في إنشاء حكومة عالمية في هذين المبدأين الرئيسيين :

أولاهما : أن الحكومات ، قومية أو عالمية ، لا يمكن أن تخلق بمجرد الرغبة أو بمحض المشيئة ؛ وإن كان من الجائز كما أثبت التاريخ السياسي للأمم خلق حكومات وطنية أو إقليمية بإرادة فردية غاشمة قوامها قائد فاتح أو طاغية قاهر أو من كان في حكمهما . بيد أن مصير هذه الحكومات كان ولا يزال معلقاً بمصاير موجديها لا بمصاير الشعوب المقهورة التي اضطرت إلى الخضوع لها أزماناً محدودة .

ثانيهما : إن الحكومات كمنظمات إدارية وقانونية ، لها أثر جدي محدود في صناعة أو خلق مجتمعات موحدة أو متجانسة .

فلا القانون إذن يكتفي بمساندة الحكومات له إلى حدّ أن يستغنى بهذا السناد « الرسمي » عن رضا الجماعة ذاتها ، فلا يكون مظهراً واقعيًّا لروحها وانعكاساً صادقاً لقيم ومثل ضميرها ووعيها الجمعي ، ولا هو بقادر على أن يصنع ، بمجرد قواعده المسطورة من العدم وجوداً ، ولا من مجموعة من الأمم المتباينة نهوضاً وثقافة ومصالح — مجتمعاً عالميًّا توحدت أهدافه ومطالبه وتجانست قيمه وأمانيه .

« للبحث صلة »

نهضتنا الثقافية

وبوادر الاهتمام بها

للأستاذ محمد مفيد الشوباشي

مما قصر فيه ذوو القدرة وذوو الكلمة النافذة في مصر أنهم لم يولوا نهضة بلادهم الأدبية بعض ما تستحق من اهتمام ورعاية ، فلسنا نعرف كبيراً من كبرائنا اهتم بالأدب إلاّ إذا استثنينا أولئك الذين يختار كل منهم أديباً يظهر له شيئاً من العطف ، ويبذل له شيئاً من العون على نحو ما كان يفعل السراة الأقدمون ، ويحسب أنه آزر الأدب بمؤازرته ذلك الأديب المختار ، جاهلاً أن هذا النوع من العطف الفردي على أديب ، يزري في هذا العصر بالأدب والأدباء على السواء .

وكم من حزب سياسي من أحزابنا وضع برنامجاً لسياسته ، وحرص على ألاّ تفوته ناحية من نواحي النشاط في الحياة المصرية ، فشحنه بما يراه من وسائل النهوض بالتجارة والصناعة ، والزراعة ، والصحة ، والتعليم والدفاع الوطني وغيره من شئوننا العامة ، ولكن حزباً واحداً لم يفكر في تخصيص سطر واحد من صفحات برنامجه لوسائل دعم نهضتنا الأدبية والفنية ، أي أن أحزابنا لم تتعمد إهمال نهضتنا الثقافية ، ولكن أمر تلك النهضة لا يخطر لها ببال حتى في الوقت الذي تكدح ذهنها فيه لوضع برنامج إصلاحي شامل .

أما كبراؤنا المحترمون فإنهم يبذلون وقتهم الثمين ومالهم النفيس في تشجيع النوادي والجماعات المختلفة من رياضية واجتماعية ، وقد يعطفون في بعض الأحايين على هيئات علمية . ونحن لا نأخذ عليهم ذلك ، بل نقدره كل التقدير . ولكن الذي نأخذه عليهم ، أننا لم نسمع بأن واحداً منهم فكر في معاونة الأدباء على إنشاء مؤسسات أدبية على غرار المؤسسات

التي ذكرناها تلم شملهم، وتخلق لهم الجو الأدبي الذي يعين ولا شك على تطور الأدب وتقدمه. بل أن واحداً منهم لم يخطر على باله أن هناك شيئاً اسمه أدب وان ذلك الأدب هو في نظر ذوي الرأي والبصيرة أساس التقدم الحضاري، وحافزه الأول، وقد يكون عذر المعرضين عن تشجيع الأدب أنه في غير حاجة الى تشجيعهم لأسباب سمعنا صداها يتردد في الأيام الأخيرة. ولذا نعرض لها فيما يلي: —

ما يؤخذ على تشجيع الأدب

يرى بعض أهل الرأي أن النهضات الأدبية تقوم على كواهل النوابغ من الكتّاب، وأن هؤلاء في غير حاجة إلى تشجيع الحكومة أو ذوي النفوذ من الأفراد لأنهم موهوبون، فالنزعة الأدبية فيهم سجية لا يملكون منها فكاكاً. فهم لا يبدعون حين يشجعون، ولا يعييهم العقم حين يهملون، وقد يسفر تشجيعهم عن عكس الغاية المرجوة، منه لأن العقبات التي تعترض سبيلهم كثيراً ما تحفز هممهم وتصقل مواهبهم. فالفشل قمين بأن يستحثهم على مضاعفة الجهود في سبيل التجويد، وقديماً قال الشاعر

لا بدَّ من فشل من بعده فشل   حتى يجاب إلى العلياء داعيها

في حين أن التشجيع يسفر على الأغلب عن نجاح سهل سريع يفعم نفوس الناجحين غروراً، ويدخل في روعهم أنهم وصلوا إلى الغاية وأصابوا الكمال، فيصرفهم عن بذل الجهد الجهيد في سبيل التجويد. وآخر ما يقال عن التشجيع إنه يغري الادباء بتملق مشجعيهم والعمل على تجنب سخطهم وكسب مرضاتهم، وتسخير أدبهم في سبيل الاشادة بأولئك المحسنين إليهم، وتحقيق أغراضهم فيصبح الأدب تابعاً لا متبوعاً، ويرسف في قيود الرق والعبودية في حين أنه لا يترعرع ويزدهر إلا في طلاقة الحرية.

وسائل تشجيع الأدب

قبل أن نضع الآراء المشار إليها في الميزان، ونتبين فيها وجه الصواب من وجه الخطأ، نذكر أن تشجيع الأدب نوعان، نوع عرفه الزمن الغابر، إذ كان أكثر الأدباء من شعراء وكتّاب يلوذون بأصحاب الجاه والمال من الخلفاء والامراء والاشراف والحكام، فيطبلون لهم ابتغاء رفدهم، ويحوطون بعضهم بهالات من المجد الوهمي، فيوطدون بذلك سلطانهم، ويعينونهم على تحقيق مآربهم. وما وثق أولئك من مضاء سلاح الأدب حتى شجعوا

أربابه بكل ما اهتدوا إليه من حيلة ... ونوع آخر عرفه العصر الحديث ، وهو يختلف كل الاختلاف عن التشجيع الماضي في وسائله ومراميه ويعتمد على إقامة المباريات ونشر الثقافة العامة . ولعلَّ هذين النوعين في حاجةٍ إلى زيادة إيضاح ولذلك نفصل ما سبق إيجازه فيما يلي :

تشجيع الأدب في العصر الغابر

لم يكن الأدب مربحاً ، بل أنه لم يكن يقيم أود رجاله قبل الاهتداء إلى آلة طباعة الكتب فاضطرَّ المعوزون من الأدباء الى طرق أبواب الموسرين من الحكام والأمراء كما سبقت الاشارة الى ذلك . واعتنقه غير هؤلاء من هواته الذين لم تكن بهم حاجة الى احترافه، فطرقوا منه أبواباً لم يكن ليطرقها المحترفون ، وأبدعوا فيه فنوناً بعد فنون ، وعلى الرغم من انهم خلفوا لنا مصنفات قيمة ، فقد كانوا قلة ليست بذات خطر .

ولكن أدباء الغرب الأقدمين كانوا أوفر حظًّا من أقرانهم الشرقيين ، لأنهم عرفوا دون هؤلاء لوناً من الأدب درَّ عليهم بعض الربح فشجعهم على المضي في تجويده . ذلك هو أدب المسرح الذي صار فيما بعد عماداً لمختلف ألوان الأدب الغربي . ولسنا ننكر ما لبعض أدباء العرب من فضل في نقل قطوف من الآداب الأجنبية إلى اللغة العربية ، وما لبعض سادة العرب من فضل كذلك في حثهم الأدباء والعلماء على وضع بحوث مستفيضة في مختلف العلوم والفنون ولكن الجهود التي بذلت في تلك السبيل كانت فردية متفرقة .

ومن المعروف أن الحكومة الفرنسية قد درجت منذ مستهل العصر الحديث على منح كل عالم أو أديب ظهر فضله وعمَّ نفعه معاشاً سنويًّا دون أن تكلفه عملاً أو تفرض عليه رأياً ، أو تحاسبه على حركاته وسكناته . وكان الشاعر الفرنسي موليير من بين أولئك الأدباء الأفذاذ الذين قدرتهم دولتهم وأجزلت لهم العطاء لتمكنهم من التفرغ لاداء رسالتهم الادبية بدل تضييع وقتهم هباء ، وجهدهم بدداً في سبيل تحصيل القوت . فكسبت الأمة الفرنسية لقاء مبلغ زهيد من المال تلك الذخائر الأدبية الخالدة .

ولم تكتفِ الحكومة الفرنسية بمد يد العون الى الأدباء من أبنائها بل جاوزتهم الى حملة الأقلام من الأجانب . وكان من بين هؤلاء هايني الشاعر الألماني الذي كتب كتابه « ريزبيلدر » وغيره من روائع آياته في فرنسا .

وقد أنشأت تلك الحكومة « الأكاديمية الفرنسية » التي شجعت الأدب بتتويج كتبه الممتازة والتنويه بمؤلفيها . وعملت على نشر الثقافة بإعانة الجمعيات والنوادي الثقافية،

وناشدت أساتذة المدارس أن يعملوا على ترغيب الطلبة في الاطلاع على كتب الأدب ، فتوطدت بذلك أركان النهضة الأدبية الفرنسية .

وقد رأى دزرائللي وهو على رأس الحكومة الانجليزية أن يقوم هو أيضاً بنصيب من تشجيع الأدب فعرض على كل من توماس كارليل ومستر تينيسون أسمى أوسمة دولته ، ومعاشاً سنويّاً جزيلا ، فرفض أولهما العرض لأسباب سياسية ، وقبل الثاني اللقب دون المال ، فصار يلقب اللورد تينيسون

وإذا كانت حكومة انجلترا لم تسخ سخاء الحكومة الفرنسية في تشجيع الآداب ، فإن صفوة المجتمع الانجليزي تولت عنها هذه المهمة السامية ، وسدت النقص على خير وجه فلم تضن بجهد في سبيل نشر الثقافة العامة ودعم صرحها .

تشجيع الأدب في العصر الحاضر

تبذل وزارة المعارف العمومية جهدها في سبيل تشجيع التأليف وتتذرع ببعض الوسائل للوصول الى تلك الغاية ، فهي تفحص كل كتاب ثقافي يصدر في مصر أو في البلاد العربية الشقيقة وتشتري منه عدداً مناسباً من النسخ في حالة التثبت من صلاحيته للاقتناء ، وتوزع بعض هذه النسخ على مكتبات المدارس والمعاهد العلمية ، وتهدي بعضها الآخر للنوادي والجمعيات والمؤسسات الثقافية . وهي تقيم المباريات في مختلف فنون الأدب والعلم ، وتجيز الفائزين وتنوه بمؤلفاتهم ، وتقوم على طبعها ونشرها في بعض الأحوال ثم انها تمنح المؤسسات الثقافية منحاً ماليّاً لتعينها على الاضطلاع بالمهمة الثقافية التي أخذت على نفسها الاضطلاع بها ، وتكافىء بعض المؤلفين على كتب لا يتوقع لها الرواج بين جمهور القراء لدسامة مادتها .

ويشارك المجمع اللغوي وزارة المعارف في تشجيع الأدب باقامة مباريات أدبية دورية ، وقد عول أخيراً على تتويج الكتب الممتازة ليرشد القراء من ناحية الى خير ما يقرأون ، ويشجع الكتّاب تشجيعاً أدبيّاً من ناحية أخرى.

ولسنا نعلم كما سبق القول إن أحد رجالاتنا اهتم بالأدب اهتماماً جديّاً ، وخصص جوائز مالية للمتبارين في حلبته ، اللهمّ الاّ إذا استثنينا تلك الجوائز المخصصة للطلبة الممتازين في بعض كليات جامعتينا . وما من شك في أن أي مشروع عام لا يمكن أن يكتب له النجاح الا إذا أيده الشعب ، وأخلص في العمل على نجاحه . ولن تصيب وزارة المعارف ذروة النجاح

في مهمتها الا إذا عاونها الشعب على ذلك معاونة جدية. وسنحاول في مقال تال أن نرسم وسيلة تلك المعاونة لعلّ المخلصين للأدب في هذا البلد أن يهتموا بالأمر ولا يضنوا ببذل الجهد في سبيل الوصول الى الغاية التي ينشدها كل مصري مخلص.

عود على بدء

وإذ محصنا أوجه الاعتراض على تشجيع التأليف، وقومناها على ضوء ما قدمنا من بيان، وجدنا أن وسائل التشجيع الحديثة تكاد تخلو من عيوب الوسائل القديمة وتسلم من كل اعتراض. فالتشجيع الحاضر يهدف الى خلق بيئة تساعد على نمو النهضة الأدبية وازدهارها دون التعرض لتوجيهها وجهة خاصة.

أما القول بأن الأدباء في غير حاجة الى تشجيع فهو مناقض لطبيعة الأشياء، لأن التشجيع بشطريه المادي والأدبي يحفز الهمة، ويحث على مضي الأديب في طريق الخلق والابداع. وكل كاتب كبير بدأ حياته كاتباً مغموراً واحتاج في أول عهده بالكتابة الى المؤازرة والمعاضدة والمباريات العامة لا تتيح للكاتب نجاحاً سهلاً، ولكنها ترفع من شأن الجيد دون المخفق، وإذا قام بالتحكيم أدباء عرفت لهم الأمة قدرهم، فان من الاجحاف أن يساء فيهم الظن، أو أن يفترض فيهم الغرض.

إن تشجيع الأديب لن يحول بحال دون قيام العقبات في سبيل وصول النشء من الكتاب إلى ذروة الشهرة. فهم لا بد معرضون لفشل من بعده فشل حتى تتحقق آمالهم، ولن يعدموا العبرة والفائدة في المركب الوعر الذي يركبون.

أما شبهة خضوع الكتاب لمشجعيهم واهتدائهم بهديهم، والسعي إلى إرضائهم والعمل على تحقيق أغراضهم ومطامحهم، فلم يعد له مجال اليوم فانه ظاهر من وسائل التشجيع التي ذكرناها أن المشجعين الذين يلتمسونها لا يتصلون بالأدباء، ولا يوجهونهم، ولكنهم يمهدون للنهضة الأدبية تمهيداً عامًّا شاملاً لا يرمي إلاّ إلى الغاية السامية التي يتوخاها كل مخلص.

* * *

قصيدة

يوم الجزيرة

قصدا الجزيرة على جناح شراع

للأستاذ محمد فهمي

جزيرة الذهبِ   يا فتنة المُهَج
في العمر لن أنسى   يوم الهوى البهِج..

☆

يا عُشّ إلْفَين   طارا على الثَّبَج(١)
روحاهما رفا   في النسْم والأرجِ
جسماهما شفا   كالنور كالوَهَج..

☆

جزيرة الذهبِ   يا فتنة المُهَج...
النيلُ قد غنَّى   للزورق الأسنى
يختال تيَّاهاً   يسري به لحنا
والموجة الولهى   باحت بما بُحْنا..
يا عرس روحين   أفراح قلبين
في رقص أضواء   تختال للعين
كم راعنا ماسٌ   يضوي بشطين

☆

رحنا بمسرانا   نُفضي بنجوانا
في أذنها همسي   كم هاج تحنانا
والوجد جياشاً   أبدى خفايانا

☆

جزيرة الذهب   لما بلغناك
صاحت من الطرب   يا حُسن مغناك!
يا طيب ما ذُقنا   لما افترشناكِ
الحسن قد لبى   والصبُّ لبّاكِ

---

(١) زبد الماء

قصة

الركاز (١)

للأستاذ ابراهيم الابياري

كانت طريقاً عامرة بالسابلة ، لا تكاد تمضي فيها بعيداً حتى ترى عن الشمال أو اليمين أزقة ناشطة(٢) وإلى المنتصف منها مَنقبة(٣) غير نافذة ، تنشط من تلك الطريق الرئيسية ، تقف بعد خطوات قليلة فيها تجاه نشز يعلو الأرض بأشبار ، قد استوى من لبنات وأحجار ، هي كل ما خلفه الهادم من منزل صغير ، كان هذا النشز رقعته .

وإلى زاوية يحتضنها جداران قد نقرت الثقوب والثغر فيهما أفواهها ، جلس الفتى « محمود » على قطع من فرش مختلفة لا يمتّ بعضها الى بعض بصلة . فهذه من حصير ، وتلك من ثوب خلق ، وثالثة من فراء . أما تلك القطعة التي كان يخص بها نفسه في جلوسه ، فكانت كما يحكى ، عزيزة عليه . أليست البقية الباقية من تلك الطنفسة التي كانت تحت سرير أبيه والتي ورثها أبوه عن جده ؟ وهي دليل عنده على أن الأسرة كانت على شيء من الثراء ومثله من الجاه .

وفوق الفتى « محمود » عريش قد اصطنعه ، يمنع عنه الشمس . أما المطر فما كان لذلك العريش بدفعه يدان ، ولم يكن أمام « محمود » مع صبيب الماء إلاّ أن ينحدر الى مدخل بيت الى جانبه ، يجد فيه مستكنه حتى تنقشع السماء .

كان هذا الركن على هذا النشز تحت هذه الظلة حانوت « محمود » وسكنه ، يستقبل فيه مع الصباح جماعات الأولاد والنساء والرجال بمواقدهم « البترولية » للاصلاح ، أو للافادة من خبرته التي ذاعت وشاعت .

ويهجع فيه مع الليل بعد أن ينفض السامرون من حوله ، وقد سمعوا شيئاً من قصص الأبطال وأحاديث الشجعان ، التي كان « محمود » يحتفظ بالكثير من كتبها في صندوق

---

(١) الركاز : المال المدفون (٢) الناشطة : الطريق يأخذ من الطريق الاعظم (٣) المنقبة : الطرق الضيقة بين دارين .

صغير ، جعل منه من النهار مقعداً ، إن ألمّ به زائر ذو بال ، ومع الليل مكاناً لمصباحه الصغير ، يقرأ في ضوئه لهؤلاء الذين يقصدون اليه ويجلسون محدقين به واعين صاغين . حتى إذا ما انتهى إلى حيث يريد طوى الكتاب ، وأدار عليهم أكواب الشاي ، فشربوا وانصرفوا .

كان الفتى كسّاباً كما كان متلافاً ، ما انضمت يده على شيء بياض النهار إلاّ صفرت منه قبل مطلع الشمس الثانية ، وكان كريماً مع صرفائه ، فما قصدته رقيقة حال إلا عادت بدرهمها في يمناها والموقد معافى في يسراها . وكان حمي الأنف يأبى أن يعمل لمن يحقر من شأنه ويهون من أمره . وكان متفلسفاً له في الوجود رأي فيه غلو واغراق ، ولكنه كان مقبولاً من مثله .

ولو أن الدراسة امتدت به ، ولم يقطع عليه موت أبيه الطريق ، لرأيناه في غير هذا المكان وقد حذق الحرفة في عام وبعض عام ، وعال أمه أعواماً على قدر ما أوتي من قوة وحيلة فماتت عنه راضية . ولم تنس قبل أن تسلم روحها أن تفضي اليه بخبيئة نفسها .

ورث الفتى البيت وحيداً ، وكان يغل له الى حرفته قروشاً من حجرات كان يسكنها أسرتان أو ثلاث . ولم يشفق الجيران على الفتى كثيراً ، فقد كان في حسبانهم مجدوداً . ورث الدار بما فيها ، وهو إلى ذلك ممتهن تفيض عليه يده والدار بما يكفل له حياة فوق حياتهم .

رأى الجيران الفتى بعد موت أمه لا يبرح الدار الى عمله ، فظنوه حزيناً ، وقدروا لذلك أياماً تنقضي . فلما انقضت الأيام ولم يبرح ، دهشوا .

ورأوه يطلب الى القطان في رفق أن ينزحوا عن الدار ، ولما لم يجيبوه الى ما طاب أعنف لهم ، فدهشوا .

ورأوه ينقض البيت لبنة لبنة ، وكلما كوّم كومة باعها . فظنوه يريد ان يستبدل بالدار داراً مكانها اجمل وآنق . فلم يدهشوا .

ورأوه بعد ان أتى على الدار كلها قد تخذ لنفسه من بقايا اهدامها ذلك النشز يجلس الى ناصية منه ، فخالوا به مسّاً من جن . ولم يعيدوا عليه السؤال بعد مالقي بعضهم منه أذى وضرّاً في ذلك . فرضوه على حاله تلك ورضيهم . وكان سخي اليد ، فمدوا إليه أيديهم بالعون .

وما غبر الفتى ان بنى لفتاة غريبة عن المدينة ، قذفت بها الايام إليه ، فأنس بها وأنست به ، وحملت عنه عبء الضيفان ، ومؤونة كان يحملها الجيران . وزاد الفتى في بيته فأسدل

ستراً من أثواب مرقوعة . ومضى فيما هو فيه . ولم يرَ الناس جديداً غير هذه الزوجة . وما هي الا أيام حتى عرفتهم وعرفوها ، وجلست إليهم وجلسوا إليها ، وجرت الامور على العهد بها من قبل ، ما احتجب عنهم الفتى ، ولاقلق بهم مجلسه ، ولا أرضى ستره دونهم ليلة.

غير أنهم رأوا للفتى نشاطاً جديداً تصحبه فيه زوجه . رأوهما في الهزيع الاخير من الليل يمتحنان الجدران المحيطة ، ويتحسسان أماكن منها ، فذكروا أيامه الماضية يوم بدأ يخلص من داره . فاستعاذوا بالله وسألوه للفتى رشداً ، مخافة أن ينال جدرانهم بسوء ، فيهدم عليهم دورهم بعد أن هدم داره .

ولكن عجوزاً في الحي استطاعت أن تخلو إلى الزوج ، وكانت قد لزمتها في الوضع أياماً ، فعرفت منها ما يخفيان وما يعملان له سواد الليل ، منصرف الناس عنهما .

لقد انطوت صدور الجدر على سر قديم حمله الأبناء عن الآباء جيلاً بعد جيل . ولم يحاول أحد أن يستنطق الجدر عما ضمت ، ولم تخرج هي عن صمتها فتبوح بذات نفسها .

طمعت العجوز فيما طمع فيه الفتى والزوج ، وباتت ترقبهما على خيفة ، تلقن عن الزوجة وتسارها كلما أصابتها في خلوة ، وتحذر الفتى ولاتتصل به ثم يغريها الطمع فتصمد للجيران تزجرهم وتنهاهم عن الخوض في شأن الفتى ، أو عن أن يعرضوا له بسوء .

وامتدت يد الفتى في بعض ما امتدت له إلى حجر ليس بالصغير ، في تلك الزاوية التي يهجع إليها هو وزوجه وصغيرهما. ولم يدر أنه حين فعل ، خلى بين الحجر وبين السقوط .

كانت ليلة النصف من شعبان . واجتمع السامرون بالفتى ففقرأ لهم ما قرأ . وشربوا معه الشاي بعد أن ذاقوا قطماً من الحلوى . وقبل أن ينصرفوا سألهم أن يقرءوا معه الدعاء فقرءوه . وكانوا يعرفون الفتى لا يدين ، فتركوه مغتبطين بجديد أمره ، ولكل في هذا ظن وتأويل .

آوى الفتى إلى جانب زوجه ، ومن بينهما صغيرهما . وهو يرى أن هذا الكنز الذي أجنته بطون الجدر قد آن أوان كشفه ، وأنه لم يبق عليه إلا أن يتحسس ما دون الحجر في مساء غد وحسبه ماعانى في هدم الدار وسكنى العراء . وأخذ يعود باللوم على أب وجد لم يحملا عنه هذا العبء ، ولم يرزقا مثل شجاعته . ذلك ماهجست به نفس الفتى وأخذ يحدث به زوجه وكان الاعياء قد بلغ منه كلاماً ، ومنها استماعاً ، فغرقا في نوم اتصل بنيمة القبر . استيقظ الجيران فرأوا مأمومين⁽¹⁾ بحجر ، ورأوا صغيراً عند قدميهما يعبث بقطع من الذهب البرّاق وسرعان ماقضى الصغير بعد أيام ، لأن الذهب الذي أعيا أباه ، لم يكفل له من يرعاه .

---

(١) مأموم : أي أصاب الحجر أم رأسه

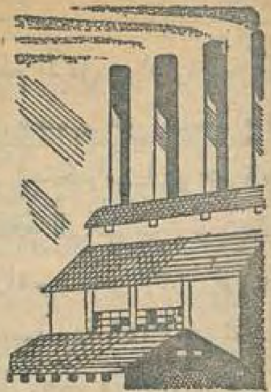

المخترعات المرتقبة

في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٢ —

للأستاذ عوض جندي

وصفت في الجزء السابق من المقتطف « المحرك الشمسي » وتاريخه وأطواره، ومستقبله وصفاً مستفيضاً . وهو أول المخترعات التي يتوقع العلماء اتقانها في الربع الآتي من القرن الحالي . وهأنذا أسرد في هذا المقال التالي إيفاء لوعدي السابق لحضرات قرائنا الكرام، سائر المخترعات العصرية التي يطمح العلماء الى إبلاغها حد الكمال في غضون السنين الخمسين المقبلة : —

٢ — ﴿الشموس الكهربية﴾ سوف تضاء المدن الكبرى بمصابيح تسمى « الشموس الكهربية » تتدلى من أذرع تنصب على منائر فولاذية يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم . وتكون مشابهة في اشراقها وتعدد ألوانها لأمثالها المشحونة بالغازات النادرة التي تبهر أبصارنا في كل شارع من الشوارع الكبرى . بيد أن الطريقة التي ستتبع في توليد ضيائها ستكون أقرب شبهاً لما يحدث في الشمس . إذ تنطلق على الذرات التي تحويها صماماتها الكهيربات وغيرها من القذائف الدقيقة الأحجام . وعلى هذا الأسلوب تتهيج الذرات تهيجاً كهربيًّا فتضيء ضياءً رائعاً جدًّا.

٣ — ﴿الطاقة الشمسية تدير آلات المصانع﴾ وحينئذ لاتدور مولدات الطاقة الميكانيكية أو الكهربية بالطاقة الذرية كما يخيل الينا الآن لأننا نكون وقتئذ قد أدركنا منذ ١٩٥٠ أن الجهاز الذي يدار بالطاقة الذرية لابدَّ أن يكون أكبر من زميله الذي يدار بالوقود المألوف ، وانه يفوقه فيما يتطلب من النفقات . وما من شك أن مثل هذا الجهاز الذي يكون مدار على الطاقة الذرية ، تتحقق منافعه في كل من كندا وأميركا الجنوبية والشرق الأقصى . أما في بلدان المنطقة الحارة فهو لايستطيع منافسة الطاقة

الشمسية لأن المهندسين سوف يثبت لهم في سنة ٢٠٠٠ قطع الأمل في ادارة أية آلة كانت ادارة مباشرة بقوة الذرة . وإن أقصى ماسوف يكون في وسعهم هو استخدام الحرارة التي تتولد من تحويل اليورانيوم إلى بلوتونيم . إذ يتسنى استخدامها في ادارة الآلات البخارية . وهذه تستخدم في دورها لأدارة مولدات الطاقة الكهربية . وعندئذ يجب استعمال مقدار ضخم من الثوريوم لندرة وجود اليورانيوم عيار ٢٣٥ . ومثال ذلك أن حكومة الولايات المتحدة الاميركية شرعت جاهدة منذ سنة ١٩٤٩ في بحث امكان استخدام الأشعة الشمسية . وذلك بدلاً من توظيف أموال باهظة في استعمال اليورانيوم أو التوريوم لذلك القصد . إذ المعروف نظرياً أن الأشعة الشمسية التي تنزل يومياً على الفدان الإنكليزي من سطح البسيطة تساوي طاقة ٥٠٠٠ حصان بخاري وإنها سوف تجعل المحركات الشمسية ذات منافع شتى في سنة ٢٠٠٠ حيث توجد الأراضي الرخيصة لأن تلك الآلات تتطلب مساحات كبيرة . والأراضي البور لاتتوافر الاَّ في الصحاري . وفي الإمكان إعادة أزدهارها ولا سيما في المناطق الحارة حيث ينعدم عادة وجود الفحم الحجري أو الزيت المعدني . ومع ذلك ففي الولايات المتحدة الأمريكية الآن مزارع كثيرة تدفأ ليلاً بأشعة الشمس كما تطبخ هنالك بعض الأطعمة بحرارة الشمس أيضاً .

٤ — ﴿ بواخر كبرى تسير بالطاقة الذرية لنقل الركاب والبضائع ﴾ وينتظر في سنة ١٩٧٠ إمكان تسيير البواخر الكبرى التي تنقل الركاب في المحيطات ، بالطاقة الذرية وسوف يتحقق هذا المشروع كنتيجة للتجارب السرية الكبيرة الفادحة النفقات التي ستقوم بها وزارة البحرية الأمريكية في هذا الموضوع . وستكون البواخر المرتقبة ، في ظواهرها غير مختلفة اختلافاً كبيراً عن الباخرتين الفاخرتين « كوين ماري(١) » و « كوين اليزابت » بيد أنها ستكون أوسع نطاقاً من تينك الباخرتين ، لنقل البضائع والركاب ، نتيجة لاستغنائها عن حمل الوقود البالغة زنته ١٢٠٠٠ طن

٥ — ﴿ التربينات الغازية ومنافعها ﴾ وقد أسفرت االبحوث التي دارت في صناعة المعادن ، عن إمكان استخدام التربينات الغازية لإدارة أجهزة توليد الكهرباء وتسيير بواخر المحيطات ، عن انقلاب كبير في الهندسة المدنية وهندسة المباني كلتيهما . فأصبح استعمال الصلب مقصوراً على صنع الأدوات القاطعة والآلات الضخمة . إذ حلت محله المعادن الخفيفة بمقادير كبيرة .

---

(١) الكاتب — وصفنا هذه الباخرة العظيمة في مقتطف ابريل سنة ١٩٣٦

٦ — ﴿ تقوية المعادن للانتفاع بها في المباني ﴾ واخترعت وسائل فنية حديثة يتيسر بها تغيير الكوين الحبيبي للمعادن تغييراً من شأنه تقويتها إلى أقصى حد بحسب الدرجة المطلوبة وجعلها أضعف من ذلك في النواحي الأخرى. ومن ثمة يصير إنشاء دعائم مكاتب الأعمال ودوائر الصناعات أو مخادع السكنى « الشقق » تكاد تشبه شبكة معدنية ويرجع الفضل في ذلك (أولاً) الى مزج المعادن المختلفة بعضها ببعض و (ثانياً) الى العجائن الكيمائية وغيرها من المواد المصنوعة. فتغدو مساكن المستقبل، مختلفة عن مساكننا الحالية جدّ الاختلاف. وتصير البيوت ذات حيطان من خفاف المعادن لا تزيد ثخانة كل حائط منها على أربعة قراريط. أي انها ستكون ألواحاً من مادة عازلة ثخنها قيراط واحد أو قيراطان. ويحيط بها من الداخل والخارج غلاف مكوّن من معدن ملفوف مضغوط طبقات يعلو بعضها بعضاً.

وسوف يكون هذا البيت المنتظر مكيّف الهواء. بيد أنه لا يكون مبنيًّا من قبل، بناءً اجماليًّا طبقاً لمواصفات معيّنة لأجزائه المختلفة الكبيرة الحجم لتجمع وتركب عاجلاً في مقره. ولو أن أجزائه كلها تصنع صنعاً إجماليًّا. أعني أن المعادن وطبقات العجائن الكيماوية والخزف المملوء بفقاقيع الهواء، « لمماثل الإسفنج المتحجر » يجب تقطيعها في المكان الذي يبنى فيه البيت قطعاً بحسب الأحجام المطلوبة. وتقام في وسط ذلك البيت المكوّن من ثماني حجرات، وحدة تشتمل على مرافق الدار جميعها. وهي أولاً — جهاز تكييف الهواء — ثانياً — جهاز للحم الحديد والرصاص — ثالثاً — حمامات — رابعاً — مرشات (دشات) خامساً — موقد كهربي — سادساً — مصارف كهربية. وحول تلك الوحدة المركزية، تضم أجزاء البيت بعضها إلى بعض. وقد يكون بعض تلك الأجزاء عجائن كيماوية مسكوبة سكباً متقناً لتصير كالبلاط مثلاً.

٧ — ﴿ متى يبطل استعمال مواد البناء المألوفة ﴾ وقبل حلول سنة ٢٠٠٠ سوف يبطل استعمال الخشب والطوب والحجر، وذلك لفداحة أسعارها. ويتميز ذلك البيت المنشود بكونه رخيصاً مع أنه مستوفى المفروشات والأثاثات. ولو أنه لا يكلف صاحبه أكثر من ٥٠٠٠ دولار.

ومع أن هذه الدار لا تؤثر فيها العواصف أو التقلبات الجوية، فقد تصلح للسكنى زهاء ربع قرن. لأن ما من إنسان في سنة ٢٠٠٠ سوف يصبو إلى بناء دار تبقى قرناً كاملاً. وسوف يكون كل ما تتطلبه بالدار المرتقبة، مصنوعاً بالتأليف الكيمائي صنعاً تامًّا.

٨ — **﴿وسائل التأنق في المعيشة القادمة وطرق تنظيف المساكن﴾** وعند ما يستيقظ ساكن تلك الدار من نومه صباحاً ، يستعمل من فوه مادة لنزع شعر لحيته وذقنه ، تؤلف من الكبريتور (١) ، فيستغنى بها عن الصابون وشفرة الحلاقة . وقد لا تستغرق إزالة الشعر بهذه المادة الكيمائية أكثر من دقيقة واحدة ثم يمسحها هي والشعر المنزوع ويمسح وجهه بالماء فقط . وسيكون هذا المنزل المنتظر غير محتو على آلات ميكانيكة متعددة ، خلافاً لما نتخيله الآن . وذلك نتيجة لدرجة الارتقاء التي سوف يبلغها حينئذ علماء الكيمياء الصناعية . فيخلو البيت مثلا من الآلات التي تغسل الأطباق . لأن هذه إما يستغنى عنها وتنبذ قصيًّا حالما يتم استعمالها مرة واحدة . وإما تلقى في حوض ذي بالوعة ، حيث تسكب عليها مياه بالغة السخونة فتذيبها . ولا عجب فثمن كل حزمة منها ، مؤلفة من (٢٤ طبقاً) دولار واحد . لأنها من العجائن الكيمائية القابلة للذوبان . فتذوب في درجة حرارة ٢٥٠ فرنهيت . ولذلك يمكن أن يقدم فيها للآكلين ، الحساء الساخن لدرجة في الغليان وكذا اليخنات من دون خطر . وتصنع هذه الأطباق من عجينة كيمائية تؤلف من خامات رخيصة مثل قشور بزور القطن وقشور الزمير والخرشوف وعجم الفواكه والبسلة (٢) الصينية ومصاصة القصب وعجينتي القش والخشب . وعندما تريد ربة البيت تنظيف بيتها المرموق ، ما عليها الاَّ توجيه خرطوم المياه ، إلى الشيء المراد تنظيفه . لأن الأثاثات والمفروشات والسجاجيد والسجوف والأرضيات الخالية من الخدوش ستكون جميعاً ، إما من المنسوجات المصنوعة صنعاً كيمائياً ، وإما من العجائن المسيكة أي المشمعات التي لا تنفذ منها المياه . وتنطلق مياه الغسل عقب التنظيف إلى بالوعة في وسط أرضية المنزل . وحالما تنصرف المياه تغطي ربة البيت ، تلك البالوعة بسجادة من الخيوط المصنوعة صنعاً كيمائياً . ثم تطلق تياراً من الهواء الساخن لتجفف به كل أداة تم غسلها . وتحتوي المياه التى تستعمل للغسل على مادة منظفة لتذيب أي وسخ كان مقاوماً للذوبان وتكون الأخونة « مفارش السفرة » وفوط اليد مصنوعة من نسيج الورق المغزول الرفيع ، المتقن الصنع . فتبدو لناظرها غير الخبير ، كأنها كتانية . وحينما يتم استعمال هذه الأدوات تجمع ربة الدار الملوث منها وتلقيه في محرقة حيث تحترق وتتحول رماداً . أما الشراشف « الملايات » فتنسج من نسيج أمتن منه في المشش « الفوط » والمفارش . ومع ذلك فان تنظيفها لا يكلف صاحبتها أكثر من تعليقها وغسلها بخرطوم مياه في أثناء تنسيقها لحجرة نومها .

---

(١) مزيج الكبريت بمادة كيمائية أخرى (٢) الكاتب وصفنا هذه البسلة الصينية اي فول الصويا في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٨ وفي غيره من السنوات التالية للمقتطف .

فقه اللغة العربية

— ٢ —

للأستاذ عبد الله أمين

أما محاضرات فقه اللغة العربية لكلية اللغة العربية في الجامعة الأزهرية فهي محررة تحريراً جيداً غير أنها ليست في فقه اللغة العربية بالمعنى الذي أريده وبحوثها مع أرقام صفحاتها هي — ٣ — اللهجات . معنى اللهجة — ٤ — نسبة اللهجة إلى اللغة — ٥ — تكون اللهجات وأسباب اختلافها — ٦ — أسباب اختلاف اللغات — ٧ — بطلان أن اللهجات نشأت عند بناء بابل — ٧ — لا يمكن أن تبقى لغة محتفظة بوحدتها — ٩ — لهجات العربية — تقسيم اللغات العربية — ١٠ — لغة الجنوبيين أعربية هي أم لا — ١٢ — صيرورة اللغة الجنوبية من عربية الشمال — ١٣ — الموطن الأصلي للعربية — ١٣ — دلائل تعدد اللهجات العربية — ١٦ — تكون اللهجات العربية — ١٧ — كيف كان لسان اسماعيل دون القحطانيين أصل العربية — ١٩ — تغالب اللهجات العربية — ٢٠ — عوامل تغلب القرشية — ٢١ — ما أفادته القرشية بعد تغلبها — ٢٣ — القبائل العربية — انقسام القبائل العربية الى عدنانية وقحطانية — ٢٤ — فصحاء القبائل وسبب فصاحتهم — ٢٦ — أفصح القبائل قريش وسبب ذلك — ٢٧ — الفصيح من اللهجات — مصدر التعرف على اللهجات — ٣١ — مظاهر اختلاف اللهجات — ٣٢ — أهم ما ترجع إليه مظاهر هذا الاختلاف .

وهذه البحوث يمكن أن يكون بعضها تحت عنوان : تاريخ اللغة، وبعضها الآخر تحت عنوان : تاريخ العرب وليس شيء منها في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

٣٣ — الابدال — الابدال واختلاف اللهجات — ٣٦ — الأحوال التي يكون فيها الابدال من عمل القبيلة الواحدة — ٣٩ — الأدلة على أن الابدال في غير ما تقدم ينشأ

من تعدد القبائل — ٤٢ — الابدال في الحركات وأمثلة على ذلك — ٥٢ — الابدال في الحروف — ٥٥ — قانون الابدال في الحروف — ٥٧ — أمثلة الابدال المطرد في الحروف — ٨٥ — أمثلة الابدال غير المطرد — ٨٧ — الامالة — ٩٠ — التفخيم والترقيق — ٩١ — الحروف بصدد التفخيم والترقيق — ٩٢ — الاخفاء والاظهار — ٩٣ — الاخفاء والاظهار في الحروف — ٩٤ — الاخفاء والاظهار في الكلام — ٩٦ — الفك والادغام — ٩٧ — ما اتفقوا على إدغامه أو فكه — ٩٧ — ما اختلفوا في فكه أو إدغامه — ١٠١ — الاختلاف في الاعراب — اختلاف العلماء في التوجيه الاعرابي — اختلاف العرب في مواضع الاعراب — ١٠٥ — الزيادة والنقصان — المراد من الزيادة والنقصان هنا — ١٠٥ — أمثلة النقصان — ١٠٨ — أمثلة الزيادة — ١١٢ — القلب — ما يفهم من لفظ القلب — ١١٣ — بعض أنواع القلب المكاني — ١١٣ — آراء العلماء بصدد هذا النوع — ١١٤ — الرد على آراء العلماء هذه — ١٦٠ — ردّ الكلمات المنقوصة والمزيدة — رد الكلمات المنقوصة — ١٦٢ — رد الكلمات الرباعية والخماسية — ١٦٣ — تعارض اشتقاقين لرد الكلمة إلى أصلها — ١٦٨ — رد الكلمات الزائدة على خمسة — ١٦٩ — رد الكلمات المقلوبة — ١٧٠ — رد الكلمات المبدلة — ١٧١ — رد الكلمات المنحوتة.

وهذه البحوث إلا واحداً منها في قواعد اللغة العربية في الصرف والاشتقاق والتجويد والنحو فليس شيء منها ما عدا الواحد المستثنى في فقه اللغة بالمعنى الذي أريده

١٢٠ — تعدد المعنى للفظ الواحد — ١٢١ — المشترك اللفظي — ١٢٢ — آراء العلماء في المشترك اللفظي — ١٢٣ — التضاد — ١٢٤ — آراء العلماء في التضاد — ١٢٥ — نظرة في التضاد — ١٢٧ — المترادف — مذاهب العلماء في المترادف — ١٣٠ — نظرة في آراء العلماء بصدد المترادف — ١٣٤ — تداخل اللغات — ١٣٥ — ما ينشأ من تداخل اللغات — ١٣٩ — توافق اللغات — المراد من التوافق — ١٤١ — متى تكون الكلمة من المعرب دون المتوافق — ١٤٣ المهمل من كلام العرب ما يمكن تكوّنه من كلام العرب — ١٤٤ — نسبة المستعمل إلى ما يمكن استعماله — ١٤٤ — أعدل الأبنية المستعملة وسبب ذلك — ١٤٥ — المهمل من كلام العرب وسبب ذلك — ١٤٨ — صلة الألفاظ بالمعاني — ١٤٩ — مناسبة الألفاظ للمعاني — ١٥٢ — دوران المادة على معنى واحد — ١٥٤ — دوران تقلبات الكلمة على معنى واحد — ١٥٦ — تقارب الألفاظ لتقارب المعاني

وهذه البحوث هي الأخرى إلاّ واحداً منها من علم اللغة لا من علم فقه اللغة .

ومن هذا يتضح أيضاً أن المراد بفقه اللغة في هذه المحاضرات هو عين المراد به في كتاب فقه اللغة السابق وهو : علم اللغة : نفسه بلا فرق في المدلول وأن علم اللغة علم واسع يتسع لكثير من البحوث التي أخذت كل عدة بحوث منها متشابهة تتجمع وتكون علماً واحداً مستقلاً عما عداه ويسمى باسم يلائمه ويتخصص في دراسته علماء .

ولعل أعظم هذه البحوث جميعاً قدراً وأبلغها أثراً في اللغة وأكثرها فائدة وأدقها علاجاً وأوفرها نصيباً وعناية من جهود علماء اللغات الغربيين في العصر الحاضر البحث الخامس أو العلم الخامس من علوم التمهيد السبعة الذي استثنيته منها وقلت فيه : الذي له عندي كل التقدير وهو : البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما الموسوم برقم ٥ في ص ٩ من الكتاب الأول (علم اللغة) طبعة سنة ١٩٥٠ وقد استثنيته منها لأني أراه وحده دون غيره من هذه البحوث كلها الجدير بأن يكون فقه اللغة في العربية وقد شرح الأستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي هذه الشعبة أو هذا البحث فقال : إن موضوع هذا الفرع هو البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة ما بأن تبحث مثلاً عن الأصول الاغريقية واللاتينية وغيرها التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات الفرنسية أو الأصول السامية القديمة التي انحدرت منها كل كلمة من الكلمات العربية ويطلق على هذا البحث اسم الاتيمولوجيا (Etymologie) أي أصول الكلمات .

ويختلف هذا البحث عن البحثين السابقين علم الصوت وعلم الدلالة في أنهما يدرسان أموراً كلية ويرميان إلى كشف القوانين العامة الخاضعة لها ظواهر الصوت أو ظواهر الدلالة، على حين أن هذا البحث يدرس أموراً جزئية وليس من أغراضه ولا من شأن دراسته الوصول إلى قوانين فهو يبحث عن الأصول التي جاءت منها كل كلمة من كلمات اللغة على حدتها .

ولكن الصلة وثيقة — على الرغم من ذلك — بينه وبين البحثين السابقين، فدراسته تفيدهما كثيراً كما انه ينتفع كثيراً بدراستهما وذلك أن معرفة أصول الكلمات — (موضوع هذا البحث) يساعد كثيراً على الوقوف على تطور الأصوات وتطور الدلالات وعلى كشف القوانين الخاضع لها هذا التطور في مظهريه ، أي يعين المبحثين السابقين (الصوت والدلالة) على الوصول الى أغراضهما ، كما أن الوقوف على القوانين التي يخضع لها كل من الصوت والدلالة في تطورهما (وهو موضوع المبحثين السابقين) يساعد على معرفة أصول الكلمات، أي يساعد هذا البحث على الوصول الى أغراضه .

هذا ومن أهم شعب أصول الكلمات شعبة تبحث عن أصول الأعلام على اختلاف

أنواعها-أعلام القبائل والعشائر والجبال والأنهار والأمصار والناس ونحو ذلك—وتسمى انوماستيك (Anomastique) .

ومن أعظم الكتب العربية في هذا الفرع كتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ومعجم ما استعجم في أسماء الأماكن للبكري (١)

ويلائم هذا المنحى ما ورد في منهاج فقه اللغة للسنة الرابعة في كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية في الفقرتين (ب) و (حـ) من المادة الأولى من المنهج وهما : —

ب – طريقة رد كلمات كثيرة من اللغة الى أصول قليلة تولدت منها بالاشتقاق والزيادة والقلب والابدال والنحت والتجوّز .

حـ – التطبيق على هذه الطريقة بدراسة عشرين أصلاً وبيان ما تفرع منها مع ملاحظة أنْ تكون الصلة بين الفروع وأصولها بينة معقولة مثل أزّ . بثّ . جرّ . درّ . شبّ . صرّ . عفّ . قط . لز . قص .

ويلائم هذا الفهم لعلم : فقه اللغة ! فهم عالم باكستانيّ جليل من علماء اللغات له وهو السيد كرامت حسين كنتوري فقد ألّف كتاباً في ثلاثة أجزاء سمّاه : فقه اللسان : اي فقه اللغة ويريد باللسان اللسان العربي ثم نحا فيه نحواً قريباً من هذا النحو وقال في مقدمته ما يأتي :

«أريد أن أذكر في هذه الوجيزة ماهية اللسان العربي وحديث تكون مصادرها وأن أنسب المصادر وأترجها مميزاً بين المصادر الأصلية والفرعية وبين المعاني الحقيقية لمصادر ومشتقاتها والمعاني المجازية لها باحثاً عن أسباب صورة المصادر الأصلية بصورة المصادر الفرعية وعن علاقات نقلت المصادر والمشتقات من المعاني الحقيقية الى المجازية والغرض من البحث ردّ كثير من الكلمات المنثورة إلى قليل من المصادر الأصلية وجعل الوضع أمراً عقليّاً ليهون على طلاب العربية خطبُها ويحلو لهم كسبُها».

وإني لأميلُ كلّ الميل إلى أن يكون هذا الاسم (فقه اللغة) مقصوراً على هذا البحث (أصول الكلمات) دون غيره ولقد آن أن أعرّف (فقه اللغة) فأقول : —

قالوا : الفقه . العلم بالشيء والفهم له والفطنة فيه

وقال ابن الأثير : اشتقاقه من الشقّ والفتح

وقال الراغب الاصفهاني : الفقه التوصُّلُ الى علم غائب بعلم شاهد وهو أخص من العلم

---

(١) هذا الكتاب يطبع الآن بتحقيق حضرة العلامة الثقة المحقق القدير مصطفى السقا الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

وقالوا : العلم اليقين والعلم المعرفة

وقالوا : الفهم العلم والفهم المعرفة

وقالوا : الفطنة في الشيء العلم به والمهارة فيه ومعرفة غوامضه ودقائقه

ومن مجموع هذه الأقوال نستطيع أن نعرف فقه اللغة فنقول : —

فقه اللغة : التوصُّل الى معرفة غائبها بشاهدها وإلى كشف غوامضها ودقائقها والمهارة في ذلك، والفقه أخص من العلم أو : —

فقه اللغة : معرفة ما خَفِيَ من اللغة بما ظهر منها والكشف عن غوامضها ودقائقها

وموضوعه ألفاظ اللغة العربية المفردة

والخفي الغامض الدقيق في اللغة العربية إنما هو الأصول الأولى التي انحدرت منها الكلمات والعلاقات بين ألفاظ المادة الواحدة من ناحية الأصلي والفرعي والحسيّ والمعنويّ والحقيقي والمجازي منها ومن ناحية المعنى الواحد الذي تدور حوله ألفاظ المادة الواحدة ولذلك .

كان منهاج هذا العلم في اللغة العربية : البحث في المادة الواحدة عن أصل لها بين ألفاظها ثم البحث عن المصدر الاول الذي انحدر منه هذا الأصل في اللغة العربية نفسها وفي أصولها اللغات الساميَّة ثم البحث عن الفروع الحقيقية والمجازية التي تتفرَّع من هذا الأصل مع بيان العلاقات بين كل منها .

وقد قلت في الصفحة الثانية عشرة من العدد ٤٥٨ من مجلة الثقافة الغراء الصادر في ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٣٦٦ هـ الموافق ٧ من اكتوبر سنة ١٩٤٧ م ما يأتي تقريباً .

والمراد بأصل الكلمة اللفظ الذي اشتقت منه جميع ألفاظ المادة من أفعال ومصادر ومشتقات قياسية وغير قياسية واشتملت على أحرف الأصل ومعناه بصور مختلفة وأصول الكلمات بهذا المعنى يعرفها علماء اللغات جميعاً الآن. وقد بيَّنها علماء العربية منذ ألف سنة وهي قسمان أسماء الأصوات وأسماء الأعيان فأمَّا أسماء الأصوات فكانت أصول الكلمات في الطور الأول لنشوء اللغة وتكوّنها وأما أسماء الأعيان فلما ارتقت اللغة وتجاوزت هذا الطور الأول وأخذ الناس يضعون أسماء الأعيان لمسمياتها أصبحت هذه الأسماء أصول الكلمات . وإليك بعض الأمثلة لبيان منهاج البحث في علم فقه اللغة .

اسم الصوت : مثاله .

لَبْ لَبْ : وهو حكاية صوت لحس الشاة ولدَها وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا :

لبلبتِ الشاة لبلبةً ففي اللسان : واللبلبَةُ لحسُ الشاة ولدها وقيل هو أن تخرج الشاة لسانها كأنها تقول لَبْ لَبْ .

وإذ كانَ لحس الشاة ولدها دليلاً على عطفها ورقتها عليه استعملت اللبلبة وهي المشتقة من حكاية الصوت : لب لب : للدلالة على الرقة نفسها. ففي اللسان : واللبلبة الرقة على الولد والفعل منه لبلبت الشاة على ولدها إذا لحسته وأشبلت عليه حين تضمه أي عطفت عليه وأشفقت .

وإذ كان أول ما تستقبل الشاة من ولدها وتلبلبهُ أي تلحسه هو الصدر وموضع النحر سمي هذا المكان باللبلب واللبب واللبة ففي اللسان : واللبة : وسط الصدر والنحر والجمع لباتٌ ولبابٌ واللبب كاللبة وهو موضع القلادة من الصدر واللبلبُ النحر :

وسموا الرباط الذي يشد على لبة الدابة والناقة للرحل والسرج ليمنعه من الاستئخار لبباً من هذا ففي اللسان : واللبب معروف وهو ما يشد على صدر الدابة والناقة للرحل والسرج يمنعهما من الاستئخار والجمع ألباب لم يتجاوزوا به هذا البناء .

ومن اللبة واللبب واللبلب وهو وسط الصدر اشتقوا الفعل لب وألب فقالوا : لب بالمكان وألبَّ به وهو من البروك ووضع البعير لبته على الأرض. ففي اللسان : ولب بالمكان وألب أقام به ولزمه . ومنه قالوا : ألبَّ على الأمر : إذا لزمه فلم يفارقه ففي اللسان : وألب على الأمر : لزمه فلم يفارقه : وقولهم لبَّيْك منه : أي لزوماً لطاعتك. وفي الصحاح مقيماً على طاعتك. ولعلَّ مادة رب قد انحدرت من لب بإبدال اللام راءً فقالوا : أربَّ بالمكان إذا لزمه ففي اللسان : وأربَّت الابل بمكان كذا : لزمته وأقامت به فهي إبل مرابٌّ : لوازم وربَّ بالمكان وأربَّ : لزمه .

واللام والراء متجانسان مخرجاً متقاربان صفة ، فالابدال بينهما كثير جداً مثل صرَّ وصلَّ : إذا صوَّت وجُلِّفَ وجُرِّفَ : إذا ذهب ماله وعرقُ القربة وعلقُها واحد وهو ما تعلقُ منه والسَّدلُ والسَّدرُ إرسال الشعر وسهم أملطُ وأمرطُ : إذا لم يكن له ريش وتدلدل الشيء وتدردر : إذا تحرك متدلياً . وأمثال ذلك لا يكاد يحصى

اسم العين : مثاله : —

لفظ الذهب : وهو المعدن النفيس الأصفر الذي لا يصدأ فقد ورد هو وبعض مشتقاته في الارمية والعبرية والعربية فهو في الارمية (دَاهْبا) أي ذهب واشتق الارميون

منه فعلاً فقالوا (دَهّبه) : طلاه وموهه بالذهب وهو في العبرية (زَهَبْ) وقد اشتق العبريون منه فعلاً فقالوا (زَهِبْ) أي طلا وموّه بالذهب .

وهو في العربية ذهبٌ : وقد اشتق العرب منه فقالوا : ذهّب الشيء يذهبه تذهيباً وأذهبه يذهبه إذهاباً : إذا طلاه وموهه بالذهب فالفاعل مذهّبٌ ومذْهِب والمفعول مذهَّب ومذهبٌ وشيء ذهيب مموه بالذهب — وهذا معنى حسيٌّ حقيقيٌّ والأصل فيه الذهب وقالوا : ذَهِبَ الرجل يذهب ذهباً كفرح : إذا هجم على ذهب كثير في منجمه فرآه فزال عقله وبرق بصره من كثرة عظمه في عينه فلم يطرف فهو ذهِب وهذا معنى حقيقي معنوي من تأثير الذهب .

ومن زوال العقل لرؤية الذهب الكثير قالوا : ذَهَبَ في الأرض يذهب بفتح العين فيهما ذهاباً وذهوباً ومذهباً : مضى وانصرف فهو ذاهب وذهوب للمبالغة ومنه في الأمور المعنوية : ذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهباً أي رأى فيه رأياً والمذهبُ العقيدة التي يذهب إليها الانسان وكل أولئك معاني مجازية فرعية

ولفظ الزفت : وهو القير أو القطران الذي تطلى به السفن فقد ورد هو وبعض مشتقاته في اللغات الثلاث فهو في الارمية (زِفتا) أي زفتٌ ومنه اشتقّ الارميون فعلاً فقالوا (زَفّتْ سَفِينْتا) أي زفت السفينة وقالوا (زفّيتا) أي مزفتٌ وهو في العبرية (زِفِتْ) أي زفتٌ ومنه اشتق العبريون الفعل (زافات) أي زفّتَ . وهو في العربية زفت وقد اشتق العرب منه فقالوا زفّت السفينة يزفتها تزفيتاً ومزفتاً : إذا طلاها بالزفت فالفاعل مزفتٌ والمفعول مزفتٌ ومكان التزفيت وزمانه مُزَفّتٌ فالأصل الزفت وما اشتقّ منه فروع حقيقية

وإذ كان المراد من طلاء السفن بالزفت سدّ ثقوبها بملئها به توسعوا فقالوا زَفَتَ الاناءَ يزفته زفتاً من باب نصر : ملأهُ : هذا قول المعاجم : زَفت الاناء ملاه : بدون قيد غير أنني أذهب الى أنه كان في الأصل مقيداً بلفظ الزفت وكان يقال هكذا : زَفتَ الاناء : إذا ملأه زفتاً ثم كثر الاستعمال حتى صار عامّاً : زفت الاناء : ملأه : أي بأي شيء كان الزفت وغيره .

ويقال إن لفظ الزفت انتقل من اللغة الأرمينية الى اللغات السامية وآخرها العربية

ولفظ الإسار : وهو الحبل ونحوه يشدّ به الأسير فقد ورد وبعض مشتقاته في اللغات الثلاث فهو في الإرميّة (إسرا) أي إسار واشتق منه الإرميّون فعلاً فقالوا

(تأسر) إذا شدَّ بالإسار وهو في العبرية (إِسر ْ) واشتق منه العبريون فعلاً فقالوا (أَسرْ) شدَّ بالإسار

وهو في العربيـة إسارٌ : وأخذ منه العربُ أسرهُ يأسره أسراً : إذا شدَّه بالإسار فهو أسير ومأسور ثم سمّي كل أخيذ أسيراً وإن لم يشد بالإسار فالأصل الإسار وما اشتق منه فروع حقيقية .

وإذ كان الأسرُ دليلاً على القوَّة فقد قالوا : أسرهُ الله أي خلقه ذا قوَّةٍ وشدَّةٍ في الخلق فهذا فرع مجازي من الأصل ومن مجازه كذلك الأسرَةُ كغرْفة للدرع الحصينة لما فيها من تقوية لصاحبها وكذلك الأسرة رهطُ الرجل الأدنون لأنهم قوَّة وعِزَّة له

والبحثان اللذان استثنيتهما من بحوث المحاضرات وأحدهما في دوران المادة على معنىً واحد ورقم صفحته في محاضرات كلية اللغة العربيـة ١٥٢ والآخر في ردّ الكلمات إلى أصولها ورقم صفحته فيها ١٦٠ إذا فهم على النحو الذي أوضحته آنفاً كلاهما يُلحَظ في منهاج فقه اللغة الذي اقترحته قبلاً (١)

هذا ما أراه في فقه اللغة ومنهاجه وأملي كبير أن يعنى بدراسة رأيي هذا حضرات أساتذة فقه اللغة في المعاهد وجميع أساتذة اللغة العربية وعشاقها. ومما كتبته يتضح أن تدريس فقه اللغة العربية لا بدَّ فيه من الرجوع إلى بقية اللغات السامية أو بعضها

ولا يفوتني وأنا أختم هذا المقال أن أقول إن جميع كتب حضرات الأساتذة المحدثين التي ذكرتها فيـه جديرة كل الجدارة بأن يقتنيها كل دارس للغة العربية وبأن تدرس في المعاهد الكبرى وفي مقدمتها كتابا حضرة الأستاذ العلامة الجليل دكتور علي عبد الواحد وافي ولكن بعنوان آخر غير فقه اللغـة الذي أرجو مخلصاً أن يقصر على البحث الذي اخترته له في هذا المقال من بحوث كتاب علم اللغة له

---

(١) يتضح مما تقدم أن علوم العربية فيه عشرون علماً وهي :
(أ) ما يبحث منهـا في الحروف وهو علمان — ١ — علم التجويد وهو من بحوث علم الصوت — ٢ — علم رسم الحروف وهو من علوم الدلالة أو علوم القواعد
(ب) — ما يبحث منها في الكلمات المفردة وهو ثمانيـة علوم — ١ — علم الصرف — ٢ — علم الاشتقاق — ٣— علم الوضع — وهي جميعاً من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٤— علم المفردات — ٥ — علم حياة اللغـة — ٦ — علم اللغة المقارن — ٧ — علم فقه اللغة — علم القراءات وهي من علوم اللغة
(ح) — ما يبحث منها في الجمل وهو عشرة علوم — ١ — علم النحو — ٢ علم المعاني — ٣ — علم البيان — ٤ — علم البديع — ٥ — علم العروض — ٦ — علم القوافي وكلها من علوم الدلالة أو علوم القواعد — ٧ — علم الادب — ٨ — علم تاريخ الادب — ٩ — علم القواعد التاريخي — ١٠ — علم القواعد المقارن فجملتها عشرون علماً.

ما يهمك أن تعرفه عن : —

دار الكتب المصرية

رسالتها ونهضتها الحديثة

للأستاذ أسبيرو جبري

«ورد إلى رئيس تحرير المقتطف سؤال من بعض قراء المقتطف يسألونه عن دار الكتب المصرية وما أخرجته من مطبوعات، والرسالة التي أدتها إلى العالم العربي — وخاصة ماقامت به في نهضتها الحديثة، وهل في نيتها إعادة طبع المطبوعات التي نفدت منذ سنين» .

والمقتطف لا يسعه إلا أن يتتبع الحركة العلمية والأدبية لهذه الدار وخاصة في عهدها الأخير فيقول : —

❊نشأة الدار❊ بعد أن عُيِّن علي مبارك باشا مديراً للمدارس عرض على مسامع المغفور له الخديوي إسماعيل باشا مشروع إنشاء «كتبخانة» كبيرة تحفظ فيها المصاحف الشريفة والمخطوطات النفيسة التي كانت لا تزال باقية في شتى مساجد القاهرة ومدارسها وغيرها من الأماكن التابعة لديوان الأوقاف ، وذلك صيانة لها من أن تعدو عليها العوادي التي ذهبت بالجزء الأعظم منها من قبل . فوافق اسماعيل باشا العظيم على مشروعه . ولما أتم علي مبارك باشا كل شيء عرض الأمر ثانية بصفة رسمية فأصدر الخديوي «إرادة سنية» في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٦ هـ الموافقة (٢٣ مارس سنة ١٨٧٠) تقضي بانشاء كتبخانة تتسع لثلاثين ألف مجلد «وتوقف على المنفعة العامة» .

وألحق بها قسم للأجهزة الطبيعية والآلات الهندسية والرسومات وأدوات الهندسة وغيرها مما يلزم للاشغال كما ألحق بها ما يسمى الآن صالة محاضرات عامة سرعان ما تطورت وأصبحت نواة «لدار العلوم» . ولشدة اهتمام اسماعيل العظيم بالمكتبة اشترى لها من ماله الخاص الكتب التي خلفها المغفور له أخوه مصطفى فاضل باشا وقدمها الى الكتبخانة

«هدية خالصة منه» فكانت هذه الكتب كلها نواة القسم العربي والشرقي بالدار .

﴿ مقر الدار ﴾ وكان مقر «الكتبخانة» عند إنشائها في شارع درب الجماميز في قصر مصطفى فاضل باشا حيث كانت المدارس الأميرية ودواوين المعارف والأشغال والأوقاف، ووضعت في مكان تجاه سلاملك القصر الذي كان يشغله ديوان المعارف . وبعد أن ضاق المكان بما أضيف اليه من كتب ، وخيف على المخطوطات أن تتلفها الرطوبة ، نقلت الى السلاملك بعد أن انتقل منه ديوان المعارف . ولبثت فيه إلى أن تمّ إنشاء دار جديدة لها وللآثار العربية التي وضع أساسها سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ونقلت اليه سنة ١٩٠٤م ولا تزال فيه الى اليوم ، إلى أن يحين إنشاء مبنى فسيح لها يتناسب مع ثقافة البلاد ومركزها العلمي، ويحقق لها بعض ما تصبو اليه منهما .

ويسرنا أن ننشر على صفحات المقتطف ما وصلت اليه دار الكتب الملكية المصرية في نهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالي العالم الجليل الأستاذ أمين مرسي قنديل بك ، لتكون أعماله الصالحة التي قام بها في نهضة الدار مثالاً يحتذى في الجدّ والنشاط والعمل الدائم والانتاج المثمر

ظهرت بدار الكتب المصرية في عهد مديرها الحالي نهضة مباركة في أعمال صالحة ومشروعات مفيدة ستجعلها بعد ان ظلت سنين متعددة راكدة مبعث النور ومهبط العرفان وتصبح منهلاً سائغاً للقاصد، ومورداً عذباً لكل طالب ومكتباتها الفرعية التي أنشئت في عهده الزاهر يؤمها طلاب العلم ويقصدها محبو البحث والتنقيب ليرتشفوا من مناهل كتبها النادرة المثال

لقد خطت الدار خطواتها الواسعة في هذا السبيل وأبرزت للملأ من جليل الأعمال، ولا سيما ما نشرت من مطبوعاتها النفيسة — ما فيه سرعة إرتقاء للآداب والعلوم، ونشر الثقافة الاسلامية

والفضل في كل هذا يرجع إلى الجهود الجبارة التى يبذلها قنديل بك فهو لواسع علمه وخبرته العظيمة وشهرته في علم النفس قد هيأ للدار أسباب النجاح وهذه النهضة المباركة ، ونذكر بعض ما نهضت به الدار في عهده

١ — **﴿المطبوعات﴾** أتمت الدار الجزء ١٧ ــ ٢٠ من تفسير القرطبي ــ والجزء ٢ و٣ من شرح أشعار الهذليين — والجزء ١ — ٤ من فهرست الخزانة التيمورية — والجزء العاشر من النجوم الزاهرة — وشرح ديوان كعب بن زهير — وديوان سحيم — والجزء الخامس

عشر من نهاية الأرب — والجزء الأول من إنباه الرواة للقفطي — والجزء الاول من فهرست مؤلفات ابن سينا . علاوة على الكتب التي تجري طبعها الآن والتي ستكون في تناول يد الجمهور بعد بضعة أشهر وهي : —

الجزء الأول من المنهل الصافي لابن تغري بردي ويقع في ثمانية مجلدات وإعادة طبع الجزء الأول والرابع من كتاب الأغاني — والجزء السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من كتاب نهاية الأرب — ومن الجزء ١٢ ـ ٢١ من كتاب الأغاني لتظهر دفعة واحدة بعد أن وزع أجزاءها للمراجعة على صفوة العلماء المعروفين بغزارة العلم وسعة المادة في الشعر والأدب .

وقد بذل جهده في ندب بعض حضرات الأساتذة للاستعانة بهم في تصحيح بعض أجزاء الأغاني لانجازها في أسرع وقت ، بعد أن مضى على إذن طبعه نحو ربع قرن — وأعانه على ذلك العالم الجليل والمفكر الكبير زعيم الأدباء معالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، فأصدر أمره بنقل حضرات الأساتذة المنتدبين الى الدار بصفة دائمة لاتمام هذا العمل الجليل .

ونعتقد أن هذا المجهود العظيم ليس بالهين أو السهل إذا قورن بما كان يخرجه القسم الأدبي من المطبوعات في العهود السابقة .

٢ — ❊ المكتبات الفرعية ❊ كان للمدير الحالي الفضل الأول في انشاء المكتبات الفرعية منذ كان وكيلاً للدار سنة ١٩٤٦ ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون افتتاح هذه المكتبات على يديه وأصبح عددها الآن سبع مكتبات تحوي ٢٩٥٠٠ مجلد، ولا يزال يعمل بجد ونشاط لافتتاح مكتبات أخرى لنشر العلم والثقافة عن طريق تعميم هذه المكتبات في كل مكان آهل بطلاب العلم والتلاميذ ، وكل محب للاطلاع، وهي أمنية طالما نادى بتحقيقها العلماء لافادة أبناء الشعب، ولم تحقق إلاّ بالعزم الصادق والارادة القوية والعمل الدائم والنشاط .

وهذا بيان عن المكتبات الفرعية : —

تمشياً مع حركة نشر الثقافة وتقريب الكتاب من المطالعين ومساهمة من الدار في تعليم الكبار وتمكيناً لها من نشر رسالتها، وضعت الدار خطة تقضي بضرورة وجود مكتبة في كل حيّ من أحياء القاهرة ، وفي كل مدينة أو مركز ليس فيها مكتبة عامة ،

وذلك على أساس أن تكفي المكتبة حاجة عدد معين من السكان ، وهذا العدد يقل كلما قلت نسبة الأمية .

وقد إستطاعت الدار أن تنشيء في السنتين الأخيرتين سبع مكتبات فضلاً عن مساهمتها في إدارة مكتبة الأميرة فريال في مصر الجديدة والاشراف على سائر مكتبات الأقاليم وهذه الفروع هي : —

الظاهر — الزيتون — حلوان — شبرا — الفن — مبرة الملك فؤاد — الفاروقية . وهي تسمى بهمة مديرها الحالي لانشاء مكتبة في بنها . ويلاحظ إن هذه المكتبات الفرعية تقع في الأحياء المزدحمة بالسكان مثل : شبرا ، والظاهر ، والخليفة . أو في أطراف القاهرة مثل : الزيتون ، وحلوان وكلها في أدوار أولى وقريبة من المواصلات العامة ، وهي كلها في مبان مؤجرة . ولعل الدار توفق في وقت قريب إلى أن تكون هذه المكتبات الفرعية في مبان خاصة تبنى لها على أحدث طراز .

٤ — ❊ مساهمة الدار في الحركات الثقافية الدولية ❊ ساهمت الدار في الإجتماع الخامس عشر لجمعية المكتبات الدولية الذي عقد في مدينة بال بسويسرا في المدة من ١١ — ١٤ يوليه سنة ١٩٤٩، كما اشتركت بمعروضاتها في المعرض الزراعي العام الذي أقيم في القاهرة في شهر مارس سنة ١٩٤٩ وقد نالت هذه المعروضات جائزة الشرف الأولى . واشتركت أيضاً في معرض (مصر — وفرنسا) بمخطوطاتها النادرة ذات الطابع الفني ، وكذلك بنماذج فنية من تجليد مطبعتها فحازت إعجاب زائري المعرض من الفنانين وغيرهم ونالت معروضاتها هذه مدالية من المعرض المذكور .

هذا وقد ساهمت الدار في الإحتفال الذي أقيم بمناسبة مرور مائة عام على وفاة المغفور له محمد علي باشا الكبير فأقامت معرضاً للكتب التي طبعت في عهده ونسقته بشكل يبين تقدم الطباعة والنشر في البلاد في ذلك الحين والجهود التي بذلها محمد علي في شتى نواحي الحياة العلمية والثقافية في البلاد .

٥ — ❊ نشرات الدار ❊ كانت الدار منذ عهد بعيد تصدر نشرات شهرية تطبع على الجاستتنر ثم انقطع عملها فقرر حضرته إعادة طبع هذه النشرة بالعربية والأفرنجية لسنتي ٩٤٨ و ٩٤٩ كل سنة على حدة .

وكذلك إهتم بتزويد قسم التصوير والفوتستات بآلتين قارئتين للمخطوطات التي تؤخذ على الميكروفيلم وتكبيرها .

٦ — ﴿ الاحصاء السنوي لرواد الدار وكتبها لسنة ١٩٥٠ ﴾ تردد على دار الكتب وأقسامها المختلفة ١٤٠٦٠٠ ، وعلى فروعها ١٢٠١١٩ فيكون مجموع الرواد ٢٦٠٧١٩ الكتب : (ا) وبلغ عدد الكتب التي صرفت للمطالعة داخل الدار ٣١٤٧٥٢ (ب) والتي أعيرت خارج الدار هي وفروعها ٥٠٤٠٢ فيكون مجموعها ٣٦٥١٥٤ (حـ) وبلغ عدد ما اقتنته الدار من الكتب ٢٢٨٨٤ منها : ١٥٩٢٨ مجلداً باللغة العربية واللغات الشرقية و٦٩٥٦ مجلداً باللغات الاوربية . وتدلّ الاحصاءات على أن إقبال المطالعين على المواد المختلفة سار وفق ما يأتي : —

الأدب والقصص — التاريخ والجغرافيا — العلوم الاجتماعية — العلوم البحتة — العلوم والفنون المماشية — الفلسفة وعلم النفس — الفنون الجميلة — المراجع العامة — الديانات — اللغات .

٧ — ﴿ثروة الدار﴾ وبمقارنة حركة الكتب التي وردت للدار في الست السنوات الأخيرة بين عربية وأفرنجية يتبين منها مدى تقدم الدار ونهضتها وإلى القارىء الإحصاء :

ورد للدار في سنة ١٩٤٥ — ٤٨١٧ مجلداً وفي سنة ١٩٤٦ — ٤٦٨٣ مجلداً وفي سنة ١٩٤٧ — ٦٨٩٢ مجلداً وفي سنة ١٩٤٨ — ٧٥٤٤ مجلداً وفي سنة ١٩٤٩ — ٩٥٣٣ مجلداً وفي سنة ١٩٥٠ — ١١٨٤٣ . هذا ما ورد للدار في السنوات الست المذكورة . ولا يسمع عن كتاب نادر مخطوط محرومة من اقتنائه الدار إلاّ ويبذل كل ما في وسعه للحصول على أخذ صورة منه بالتصوير الشمسي ليحفظ بها ، لا سيما الأوراق البردية . فقد علم أن بمكتبة ما نشستر عدة أوراق بردية يرجع كتابتها إلى القرن الأول للهجرة فبذل كل ما في وسعه لأخذ صورها الشمسية لحفظها بالدار وهي لاتقل عن ٢٧٠ ورقة .

٨ — ﴿فهارس المخطوطات﴾ النادرة المنال العزيزة المنال محفوظة بدار الكتب بدون فهارس وافية تسهل للباحين ما ينشده في ثنايا سطورها سنين طويلة فأسند إلى لفيف من موظفي الدار ممن عرفوا بالجد والنشاط والمثابرة والجلد والإنتاج إلى عمل فهارس شاملة لتلك المخطوطات لإفادة العلماء والباحثين مما حوته

هذا بعض ما تذكره على سبيل المثال ، من رسالة دار الكتب المصرية ونهضتها المباركة الحديثة في عهد مديرها الحالي الأستاذ أمين مرسي قنديل بك لتحقيق ما يرجوه للدار من خير والنهوض بها ومكتباتها الفرعية الى المستوى الجدير بها حتى تضارع أكبر مكتبات أوربا في ظل جلالة الملك المفدى « فاروق الأول » حفظه الله .

نظرات في النفس والحياة

— ٢٨ —

نظرات السير أرثر هلبس

للأستاذ ع . ش

إن بعض نظرات السير أرثر هلبس تذكرنا قول جوتا : —

« إن الصواب المجهول إذا عرفه الانسان كانت له فجاءة الأمر المتوقع وبغتة الأمر المعروف المنسي » . كما أن بعضها يذكرنا قول جوتا أيضاً : —

« إن الناس يزهدون في الحق لأنه معروف مملول مألوف والألفة تبعث الملل وهم لا يستطيعون تطبيقه وانجاحه وتحقيقه فهو يشق عليهم في العمل، وان كان لا يشق عليهم في الفكر » .

ولقد كان منذ عهد الصغر كثير القراءة والاطلاع وكان يجمع بينهما وبين التفكير فيما يقرأ ، فنشأ عن ذلك انه نشر نظراته في عهد الشباب فدلت على حكمة الكهول وعلى إصالة الفكر، وكان من أصدقائه أرثر هالام وتنيسون وغيرهما من الكتاب والشعراء . وكان مثقفاً ثقافة عامة ، فكان قصصياً وكان مؤرخاً وكان كاتباً أديباً وكان سياسياً من الأحرار المعتدلين، وكان ملماً باللغات وآدابها ، وقد ذكره رسكين في بعض كتبه وقرنه إلى أفلاطون وكارليل وقال عنه إنه كان ذا بصيرة بالأمور واصالة في الرأي .

وقد نسي الناس قصصه وكتبه التاريخية ولم يبق غير نظراته وأفكاره ورسائله . وهذه نظراته ندع القارىء يحكم عليها أو لها . وهو سيجد فيها فكراً عميقاً وبصيرة بالنفس الانسانية، كما سيجد فيها طلاوة الخيال الذي يوضح الحقائق ويفسرها ، وقد تولى منصباً في المجلس الخاص في عهد الملكة فكتوريا، وكان من المقربين لديها .

وفيما يلي بعض نظراته مع قليل من التعقيب : —

(١) إذا أساء الينا مسيء وكانت لنا سلطة وقدرة عليه وتحكم فيه فاننا قد نشعر بالغضب ونظهره أكثر من شعورنا به واظهاره إذا لم تكن لنا تلك القدرة على المسيء، وهذا

من طغيان الطبيعة البشرية التي قد تسهّل على المرء تحمل الاساءة ممن لا سلطة له عليه، ثم يقتص لنفسه ممن له سلطة عليه، باظهار الغضب والاستسلام له والتمادي فيه .

(٢) كثيراً ما ننسى أن من الناس ناساً يلبسون نفوسهم كمن يلبس ثيابه مقلوبة، فيظهر الوجه الأقل حسناً ويختفي الوجه الزاهي الكثير الحسن .

(٣) من الخطأ أن يقال إن المرء اذا تعود معرفة عيوب معاشريه ونقائصهم لا يأبه لها ولا يحسّ بها، فالواقع هو أننا نزداد شعوراً بها حتى أننا كثيراً ما نحسب أننا نجدها في حالات لا توجد فيها ولا ترى ، وذلك من سوء الظن الذي يلازمنا في عشرتهم .

(٤) ليكن إغتفارك ما تغتفره للناس وما تصفح عنه أشبه بالنسيان منه بالإغتفار، لأنه إذا لم يكن كذلك كان الإغتفار أشبه بالمنّ عليهم والإعتداء الذي يكرهونه، وقد يمقتونك من أجله .

(٥) لا تتوقع أن تسمع من كل إنسان شرحاً مقنعاً لاسباب سلوكه، لأنه كثيراً ما يغفل من أهمها أو يسهو عنها أو ينساها ولو أن أثرها موجود في نفسه . وكثيراً ما يتقدم المرء للسامع بالأسباب التي يظن أنها راجحة محبوبة عند سامعه وإن لم تكن أسباب سلوكه الحقيقية أو أهمها، وإنما يفعل ذلك تقرباً اليه ورغبة في نيل التزكية منه فتنم تلك الأسباب التي يفسر بها سلوكه عن رأيه في خصال سامعه الذي يزكي نفسه لديه وتفشي رأيه المستتر فيه .

(٦) من الصعب الحكم على أسباب الخصومة لأن ظروفها القريبة قد لا تكون ذات صلة بالأسباب الحقيقية ، كما أن مكان المعركة قد لا يكون سبب حدوثها، وكثيراً ما تختفي الخصومة كاختفاء الماء الذي يجري في بطن الأرض ويخرج في مكان سحيق بعد ان تعتوره أحوال عديدة ، ولا يدل مكان ظهوره على نشأته .

(٧) إذا تعودت الإستسلام لمحبي أنفسهم من ذوي الأثرة طلباً للراحة من عناء إلحاحهم، فإن ذلك كثيراً ما يؤدي إلى تضييع ما هو أمانة في عنقك من مصالح الناس عامة، وليس بعد تضييع الأمانة إلا إنكارها وإنكار تضييعها والامعان في الظلم وما يجره من الفساد والشرور وسخط الناس .

(٨) لا تجعل غضبك وإمتعاضك مقياساً لخطأ أحد الناس، فان الغضب والامتعاض قد لا يعادلان أساءته أو خطأه، وإذا تعودت ذلك تعودت الظلم وقلة الإنصاف ، لأن للنفس حالات تغضب فيها من الخطأ القليل ، غضباً أشد من غضبها من الخطأ الكثير في حالات

أخرى أو مع أناس آخرين.

(٩) كثيراً ما يهوى الناس مناقضة الصفات المعروفة في نفوسهم ومخالفتها، فترى الرجل الكثير التغاضب والشراسة يجنح في بعض الأحايين إلى اللطف والدعة والتسمّح لكي يضلل الناس إذا أحس أنهم فطنوا إلى شراسة طبعه

(١٠) لو أعطي الإنسان القدرة على أن يتحول بالتمني وأن يكتسب به جمالاً لما تمنى إلا ما يجعله نسخة جميلة لشخصه قبل التمني، وكذلك لو استطاع أن يحول نفسه بالتمني فانه لايتمنى لها إلاّ أن تكون نسخة جميلة من صورتها الأولى قبل التمني.

(١١) لو بحثنا ما يسميه الناس الثبات فاننا نجده في كثير من الأحوال الالحاح الناشئ من حب الذات والاصرار الناتج منه فيتزيى، في رأي الناس بزي الثبات على المبدأ ويسمى باسمه.

(١٢) لو استطاع الساخط على إنسان أن يحس كأنه محام يدافع عن المغضوب عليه بأجر يرضيه، لدهش لكثرة الحجج التي يستطيع أن يدلي بها لصالحه، كي يثبت براءته أو عذره وكي يثبت إساءة نفسه في سخطه

(١٣) إن سرورنا بمن نستطيع أن نغير رأيه أعظم من سرورنا بمن يوافقنا قبل الحاجة، وقد يعرف الماكر هذا الامر فيختلف معنا إختلافاً قليلاً ثم يعود فيظهر الاقتناع برأينا كي يسرنا سروراً يدفعنا إلى قضاء حوائجه.

(١٤) إذا استسلمت إلى سوء الظن وجدت غذاء كافياً لسوء ظنك يزكيه، كما أن أذن المؤرق اليقظان يسترعى انتباهها في سكون الليل كل صوت خافت.

(١٥) إن الناس يلجأون إلى الغش ويعدونه أسهل الوسائل وأقربها، مع أن صاحب الغش لابد أن يكون ذا نفس يقظى وعينين متنبهتين وأذنين سامعتين لكل أمر، كي لا ينكشف غشه فهو في أشق الامور، وأسهل منه الصدق في المعاملة فلا يحتاج الصادق إلى تنبه جوارحه تغطية كذبه.

(١٦) إن الناس يعتدون النصيحة التي ينصحهم بها غيرهم كالضرائب المباشرة المفروضة عليهم كلما إزدادت إزداد مقت الناس لها. وقلما يلتجىء المرء إلى طلب النصيحة من غيره إلاّ إذا أراد تزكية ومدحاً منه لعمله أو قوله أو فكره. وإذا فطن أن في النصيحة من غيره فائدة لغيره شك فيها وتجنبها حتى ولو كانت فيها فائدة، لنفسه وأضيع النصح أن تنصح انساناً يعمل ما لا يستطيعه.

(١٧) إن ذا الحاجة إذا طلب منك طلباً وكانت في قولك له كلمة يصح أن تحمل على محمل الوعد وان تأول اليه وأن تفسر به فانها تكبر في ذهنه بالآمل حتى تصير كالجني المارد الذي خرج من القمقم في قصة الف ليلة ويقاضيك إياها ويعدك حانثاً كاذباً قليل الوفاء كثير الغدر .

(١٨) من الأمور المضحكة المعتادة أن نرى انساناً يلح على آخر كي يقبل منه عطاء أو هدية أو معروفاً وصاحب العطاء أو المعروف في سريرة نفسه لا يريد من الآخر أن يقبل معروفه أو هديته أو عطاءه ، بينما نرى الآخر يقبل العطاء متضايقاً من إلحاح الأول ويخشى أن يجرح احساس ذلك الملح إذا رفض عطاءه أو معروفه ، وهو بقبوله المعروف يزداد مقتاً في سريرة الأول .

(١٩) قد يكون غضب انسان منك ناشئاً من غضبه على نفسه بسبب استسلامه الى هذا الغضب وعدم قدرته على كبحه وقلة تقديرك لهذه الحالات النفسية منه .

(٢٠) إن الأمور النبيلة الجليلة إذا تأملها المرء طويلاً بأنعام ولم يتأمل غيرها فانها قد تجعله غير قادر على تبين الأمور والحكم عليها حكماً صحيحاً ، ومثله مثل من ينظر الى الشمس المتوهجة مدة طويلة حتى لا يستطيع أن يميز الأشياء .

(٢١) كما انه من الصحيح في العلوم الرياضية إن يقال إن النقطة الواحدة لا تعين اتجاه خط مستقيم وهي أحرى أن لا تعين اتجاه الخط المموج . كذلك لا تستطيع أن تحكم بعمل واحد يعمله المرء على خلقه بوجه عام . فان خلق الانسان حتى من كان ساذجاً كثير الاعوجاج . ومع ذلك يسرع الناس إلى الحكم على أخلاق إنسان بعمل واحد من أعماله .

(٢٢) إن من اتقان النفاق والخداع أن يكون صاحبهما عادلاً مستقيماً صريحاً شريفاً في الأمور التي لا تعنيه ولا تعوقه عن مطلبه ، ومن أجل ذلك صار المخادع الماهر لا يستخدم خداعه ونفاقه في كل أمر .

(٢٣) يقال في علم الطبيعة إن اعتراض نوعين خاصين من الأشعة ، قد يحدث ظلاماً في نظرك وكذلك اجتماع الحجج المتخالفة في الحاجة للأمر وضده قد يحدث ارتباكاً وظلاماً فلا تستبين الأمور إلا إذا بحثت كلاً منها على حدة .

(٢٤) كثيراً ما ينسب الى الرجل الجاهل أكثر الرذائل أو الفضائل لأن الجهل يبعثه الى سوء الظن وإلى القسوة وحب الأذى وكره الفكر والمفكرين كما انه قد يتبع قدوة الناس من غير فكر فيضل إذا ضلوا ويصيب إذا أصابوا في عمل الخير ، وهو في هذه الحالة الثانية يكون محسوباً من ذوي الفضل والفضائل .

تطور الموسيقى في سورية

خلال نصف قرن

للاستاذ ميشيل الله ويردي

الموسيقى جمال روحي يتذوقه من صفت نفوسهم فآثرت على جمال المادة جمال الفكرة، وهذا الجمال لا يعرف جنسية أو وطناً، فالأمم الشرقية يستعذب بعض منها موسيقى بعضها الآخر كالأمم الغربية، فنحن نستعمل مع الحاننا كثيراً من الحان مصر وتركيا وايران، هذا الى الألحان البيزنطية القديمة، اذن ليس لاية أمة موسيقى خاصة بها الا بالنسبة الى انتاج كل وطن.

والموسيقى لغتان: شرقية وهي التي تنضوي انغامها وموازينها تحت نظرية التناسب الطبيعي. وغربية وهي التي تستند الى نظرية التعديل مجاراة لهندسة الآلات الضخمة التي لم تزل بعيدة عن الكمال. فإذا اهتم البشر بهذه الناحية امكنهم أن يدركوا بسهولة وجه الحق والصواب بين هاتين اللغتين المتناقضتين، عندئذ تتوحد لغة الموسيقى في العالم كله، حسب أحكام الطبيعة، لأن اختلاف صياغة الألحان شكلاً وقوة، من المعزوفات البسيطة الى السمفونيات، ومن الأناشيد الخفيفة الى الاوبرات، لا يسبب اختلاف طابع الموسيقى، ولا يبرر صبغها بجنسية أو استقلالها بوطن.

والبحث عن تطور الموسيقى عندنا خلال نصف القرن المنقضي، موضوع واسع متشعب المسالك، فهناك نموّ الفكرة الفنية بين الملحنين، وتطور قبولها لدى الجمهور، وتنوع اشكال الأسلوب الانشائي واخراج الألحان بالآلات، وتلوينها بمزج الأصوات، ناهيك عن قضية تعدد الأنغام والموازين واشكال الاتفاقات (هارموني) مما يسمح للموسيقى الشرقية دون الغربية بالتجدد اللامتناهي، هذه الصفة التي تلازم ابداع الطبيعة، وتصورها أصدق تصوير وهناك أيضاً تطوّر الحرب التي شنها بعضهم على الموسيقى، وتطور النظر اليها كضرورة ماسة في الثقافة العامة، وكمادة أساسية لبرامج الاذاعة تجتذب اكثرية المستمعين

الى محطة دون اخرى ، فتمكن كل حكومة من نشر آرائها وأخبارها على مقياس واسع .

بزغت شمس هذا القرن ، والموسيقى في سورية مهيضة الجناح محدودة الانتشار ، لأن الاذاعة اللاسلكيـة لم تكن معروفة ، والاسطوانات كانت نادرة ثمينة ، وأجور الفرق باهظة ، فلم يكن يتمتع بالسماع الجيد سوى بعض الاغنياء في حفلات خاصة ، أما الجماهير فليس أمامها سوى المسارح، وقد كانت الموسيقى آنئذ أربعة أقسام : —

اولها — : الموسيقى الدينية وهي عند المسلمين ترتيل آيات الكتاب الكريم ، واشعار المدائح وموشحات الموالد النبوية ، وهذه كلها مازالت تنشد على النهج القديم ، يتناقلها الخلف عن السلف بطريق التلقين ، دون التفات الى ماقد يطرأ عليها من تحريف ، لانها غير مدونة . أما عند المسيحيين فالألحان الكنسية لم تتبدل عما كانت عليه، وأكثرها مدوّن بالنوطة البيزنطية، وبعضها بالنوطة الأفرنجية التي تعجز عن اظهار صفاء الأنغام الشرقية .

أما القسم الثاني فالموسيقى الغنائية القديمة ، وهي تضم مجموعة هامة من الموشحات والأدوار والموالي والقصائد ، كان هواة الفن يتناقلونها بطريق السماع كالموشحات ، لأنها منظومة على موازين موسيقية كموازين الشعر ، وأنغامها ترفل بجمالها الطبيعي الخالي من تشويه التعديل ، وهو السبب الذي لأجله يفضل الكثيرون صفاء الألحان العربية القديمة على اضطراب الألحان الحديثة التي يحاول ملحنها تقليد الأفرنج، لاسيما عندما تشترك في عزفها آلات معدلة، كالبيان والأرغن ومجموعة الفنفار. والفارق بين لغة الموسيقى الطبيعية المعروفة بالشرقيـة ، وبين الموسيقى الغربية ذات الأنغام المعدّلة ، كالفارق بين اللغات الفصحى واللغات معالمية الممزوجة بالرطانة ، مع العلم بأن الاصوات كائنة في الطبيعة وهي واحدة عند جميع الامم ، بينما الالفاظ موضوعة بشرعة بشرية قضت بها الاحوال الطارئة على كل أمة.

أما القسم الثالث فهو الموسيقى الغنائية الحديثة ، وقد كانت في مطلع هذا القرن مجموعة طقاطيق لا معنى لألفاظها ، ولا فكرة رفيعة في ألحانها التي لم تكن تتجاوز سطرين ، فكانوا يكررون كل لحن عدة مرات ، ومن هنا نشأ ما يتهمنا به الافرنج من المونوطونية وهو الاسفاف مع التكرار ، حتى لا يفقه السامع معنى لما يسمع وبديهي أنه لايجوز أن ننسب الى اللغة العربية ذنباً أو قصوراً إذا حوت أشعاراً لا معنى لها .

وعلى هذا القياس يصح أن نقول : لا قصور ولا ذنب على الموسيقى الشرقية ، وهي لغة الطبيعة ، إذا حوت منذ خمسين سنة ، أي في نهاية عهد الجمود ، كثيراً من الألحان المبتذلة ، التي خلت من أية فكرة أدبية أو فنية ، لا تدل إلا على خلوّ أذهان ملحنيها

وناظميها من الفكرة الراقية ، وقد انتبه الأدباء آنئذ الى انحطاط معانيها فراحوا يتخذون منها اوزاناً ينظمون عليها كلاماً مفهوماً يسمونه قدّاً .

وغير خاف أن تلك الألحان البدائية وما جرى مجراها ، لا تزال متداولة بين الأميين والقرويين. أما المتعلمون والمتفننون فينفرون منها بعد أن لعبت دوراً هامّاً ، لأن الجماهير كانت تسمعها في الحدائق صيفاً وفي المقاهي شتاء ، وهي تصدّر بمسرح أو دكة عالية تجلس عليها فرقة الموسيقيين ، وتتألف عادة من المغني رئيساً ، وضارب الرق معاوناً ، ومن اثنين أو ثلاث كالقانون والعود والناي ، وندر وجود الكمنجة في ذلك الزمان ، وكان الفاصل الموسيقي يستغرق نحو ساعتين ، ويبدأ بالتقسيم فالبشرف ، فالموشح والدور ، والقصيدة على وزن — آه يا انا — ثم الطقاطيق ، وإذا كان هنالك راقصات من الأجانب أو الأتراك تعزف الفرقة بعض القانطوريات أي الرقصات ، التي تكاثرت وتطورت بسرعة ، فصرنا نسمع منها الشيء الجميل الجديد .

أما في المسارح فقد كانوا يقدمون علاوة عما ذكر ، فصولاً مضحكة مع بعض الألعاب الرياضية ، وكانت النساء تشهد ذلك كله في حدائق خاصة يسمونها — سماطات — لا يدخل اليها الرجال ، تنشد فيها مغنيات يحضرنَ من مصر فيدعون عوالم ، أو من دمشق فيدعون مغاني .

أما القسم الرابع فهو الموسيقى الصامتة ، أي التي تعزف على الآلات بدون غناء ، وكانت مؤلفة من التقسيم الذي يشبه الكلام المنثور ، يضاف اليه بعض الدواليب واللازمات البسيطة ولم أعثر على بشارف وسماعيات ، أو معزوفات كبيرة تعود الى نصف قرن ، مما يدل على أن التلحين عندنا في نهاية عهد الجمود ، لم يكن قد وصل الى هذه الدرجة ، التي تتطلب مع الموهبة اللامعة ، معرفة متينة بأصول الموسيقى وأساليب انشائها ، وكلنا يعلم اننا حتى الآن لم نصل الى تأليف الحان تجاري انتاج الأفرنج كالسمفوني والسوناتان والاوبرات ، لذلك كان الموسيقيون يستعيرون الألحان الصامتة من الأتراك ، لأن أنغامهم قريبة جداً من أنغام العرب ، وبعضها لا يختلف عن المألوف في سورية ومصر . أما الآن فصرنا نسمع بعض البشارف والسماعيات والمعزوفات المتنوعة من تأليف السوريين والمصريين ، وقد جلّى الأستاذ توفيق الصباغ في هذا المضمار فأصبحت ألحانه معروفة في أكثر البلاد العربية .

(البحث تتمة)

غرائب الجراحة الحديثة

تبديل القلوب والكلى

للدكتور عبده رزق

هل أغرب على السمع وأدعى الى الدهشة من قولهم إن قلب فلان قد تعطل من حؤول أو ضمور فأبدل به قلب سليم ، أو أصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فأبدل غيرها بها، كما يبدل « ذنبلك » الساعة إذا تعطل ؟ إنها أمنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل ويتعللون بإمكانها كما يتعللون باضغاث الاحلام ، على أن بعض الأطباء يشتغل بتجارب يرجو أن يتوصل بها الى هذه الغاية أو ما يقرب منها . وقد نشرت مجلة مكلور الانكليزية تجاربه من هذا القبيل وهذه خلاصتها :

اهتم الدكتور كارل منذ كان طالباً في جامعة ليون بفرنسا باستخدام أعضاء الحيوانات السليمة للتعويض بها عن أعضاء عليلة في الانسان وكان يرى ذلك ممكناً، وقد جاء سنة ١٩٥٠ الى الولايات المتحدة بأميركا وعين في جامعة شيكاغو ، وألحق في السنة التالية بمعمل روكفلر ، فأخذ يشتغل في اخراج بحثه المشار اليه الى حيز العمل . فاستنبط في خياطة الشرايين والأوردة طريقة جديدة بإبرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع « الأورطي » أي الشريان الأكبر على مسافة قريبة من القلب وخياطته بدقة حتى عاد الى أصله . وقد جرب طريقته هذه في الحيوانات فأتى بالغرائب بنقل الأعضاء أو بعض أجزائها من حيوان الى آخر . فنقل « أورطي » كلب وخاطه بأورطي كلب آخر ، وقطع أجزاء من جدران الأورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير أمكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل ، فكان يخدر الكلب تخديراً تاماً ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة ، والكلب لا يشعر بألم في أثناء العملية ولا بعدها ، ومجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف أو التهاب ، فلا يلبث الكلب أو الهر أن يفيق من « البنج » حتى يعدو ولا يدري أن دمه يجري في وعاء ليس له . وقد كان عند الدكتور كارل هرة صحيحة الجسم شريانها السباتي منقول إليها من كلب له في منزله . ونقل قطعة شريان من ركبة أحد الناس

وخاطها في أورطة كلبه ، ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الأرانب والقطط الى الكلاب.

وقد توصل بتجاربه الى استخدام الأوردة في ترقيع الشرايين، لأن الشرايين إذا تعطل أحدها وأريد ابدال شريان آخر به لا يتأتى ذلك إذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة ، بخلاف الأوردة فإن منها جانباً كبيراً يمكن الاستغناء عنه بسهولة فيرقع به ما تعطل من الشرايين . وترقيعها على هذه الصورة ، ويرى الدكتور كارل ان قد تعود الحياة الى الميت . وفي هذا يقول الدكتور كارل : —

يعترف الكثيرون منا بأن القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة اليها بحيث ترجع الى عملها بعد أن تكون قد توقفت ومات اصحابها . فإذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حي يمكن رجوعها الى عملها ، وهذه حقيقة طبية ثابتة . فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة وأعادوا اليه عمله، أي الانقباض والانبساط ، ونقل الدكتور كارل قلب أحد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ، ووصل بين اورطي الكلب المنقول والشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة ، وكذلك بين الوريد الأجوف والوريد الوداجي فأصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً أحدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة .

وعند الدكتور صندوق للتبريد يختزن فيه قطعاً من الشرايين والأوردة لاستخدامها في الترقيع عند الحاجة . وقد استخدم بعضها لهذه الغاية بعد حفظها ثلاثين يوماً في الصندوق فأتت بالغرض المطلوب كأنها قطعت بالأمس، وكأنَّ الطبيعة تترك بذلك فترة للانسان يفرق فيها بين موت الشخص وموت أعضائه . إذ قد يموت الإنسان وأكثر أعضائه سليمة ، فيموت مثلاً بعلة في قلبه وتكون كبده وكليتاه سليمتين ، أو يموت بعلة الكبد وقلبه سليم . فاذا نزعت الأعضاء السليمة ساعة الموت يمكن حفظها في الجليد مدة طويلة لحين الحاجة . وقد تظهر القلوب أو قطع الشرايين المختزنة في الجليد ذابلة جافة وحالما توصل بالحيوان الحي تعود الى الحياة وبقايا صاحبها الأول صارت تراباً . ويرى الدكتور كارل أن دفن الميت برمته إسراف ، والأولى في اعتباره أن تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيها الأعضاء سليمة بعد موت أصحابها . وقد أخذ في الانتفاع من تجاربه فعلاً فشفى بعض فقراء الدم في الأنيميا الخبيثة بنقل الدم الى أحد شرايينهم من شرياني بعض الأصحاء ، ويتوقع أن يشفي تمدد الشرايين المتهرئة بشرايين سليمة .

ولا يزال الدكتور كارل يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه معاونوه ، وأكثر تجاربه على القطط والأرانب والكلاب، ولا يشعر حيوان منها بألم لأنه يجري التجارب عليها بعد تخديرها، وإذا قدر ومات ذهب ضحية الخدمة الإنسانية.

ملحمة «عبقر»

نظم الشاعر الملهم شفيق المعلوف

للاستاذ البدوي الملثم

> «إن في عبقر المعلوف (شفيق) روعة الشعر الأبدية، وفيه للخيال والفكر أمثلة نادرة من القوة والجسارة، وفيه من السلاسة والانسجام والاقتصاد باللفظ ما لا تجده في كثير من القصائد المطوّلة والدواوين الضخام» (أمين الريحاني)

وهبَ الله العلامة المحقق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انجالاً شعراء ثلاثة هم (فوزي) – طيّب الله ثراه – صاحب ملحمة على بساط الريح و (شفيق) واضع ملحمة عبقر و (رياض) – صاحب الاوتار المتقطعة و خيالات وغيرهما من الروائع

نشر (شفيق) ملحمة (عبقر) لأول مرة عام ١٩٣٦ في ست أناشيد وبعد أن توفرت لديه المادة الجزلة الخصبة أضاف اليها زيادات جديدة وأضفاها على خزينة الأدب العربي في إثني عشر نشيداً وخرجت للأيدي في اعقاب عام ١٩٤٩ مطبوعة في سان باولو مدينة الأنوال والدواليب والدخان.

وفي هذه الملحمة النفيسة الكبرى مهّد (شفيق) بمقدمة جاءت في خمس وثلاثين صفحة بعد المائة، عالج فيها مباحث أسطورية عن عبادات الجاهلية وخرافات العرب وما شابهها عند الفرس واليونان والرومان والهنود وسواهم من الشعوب التي لها قدم راسخة في دنيا الميثولوجيا.

زعموا أن (عبقر) واد مجهول تقطنه الجنّ وعرّفه أبو البقاء في كتاب (الكليّات): «كل جليل نفيس فاخر من الرجال والنساء!» وكان العرب يعبّرون عن كل جميل وسيم بقولهم: «كأنه من جنّ عبقر!» قال الأعشى: «كهولاً وشباناً كجنة عبقر!»

وللافرنج – كما روت مجلة (الشرق) الغراء التي يصدرها في سان باولو (البرازيل)

الكاتب العربي النابه الاستاذ موسى كريم طائفة من الأساطير في الشياطين، وأول من صدّقها وتأثر بها الفرس واليونان على ما روي المؤرخ اليوناني (هيرودوت). وكان الشعراء الأقدمون راسخي الإعتقاد بأن لكل شاعر (شيطاناً) يوحي اليه بما يريد قوله ولم يحرم العرب وهم كسائر الامم التي عالجت الشعر، من هذه الخرافات بل نالهم من هذه الأساطير رشاش موفور إما لصلتهم بالفرس والرومان، أو لأن المحيط الذي عاشوا فيه كان لاتساع رقعته وترامي أطرافه، ووحشة فيافيه، يدعو إلى تقوية هذه المؤثرات . . . ولقد بلغ من تأثير هذه الأوهام على عقلية العرب أنهم كانوا يرون الجنّ في الأمكنة كافةً ويخاطبونهم وجهاً لوجه. وفي رواية الحارث الضبي إنه شاهد جنياً يوقد النار لطعامه فدعاه ذات يوم ليشاركه في أكله فرفض ... !

فلما جاء العرب على ذكر (عبقر) في كتبهم وأساطيرهم وخلاصة ما زعموه إنها قرية تسكنها الجن. وينسب اليها كل جليل فائق، وفي (عبقر) التي كشفها خيال الشاعر المجدّ الأستاذ شفيق تناول العرب وخرافاتهم دون أن يغفل حديث الكاهن (شق) وهو الذي قيل إنه كان ذا يد واحدة . . ورجل واحدة ... وعين واحدة ... ثم الكاهن (سطيح) وكان لحماً بلا عظام يدرج كما يدرج الثوب. وقد ولد و (شق) في يوم واحد، واليك بعض ابيات في تصوير كل من هذين الكاهنين: في صفحة ٢٣٣ وفي صفحة ٢٣٥

سطيح: في هوة الغيلان هل وقفة   أرهب منها بين غول وجان
يهبط بي الشيطان بينا أنا   مشرّد الأبصار واهي الجنان
أنّي تلفت بغيطانها   تحدجني عينان ناريتان
بسحنة فاغرة شدقتها   عن أنيبِ محددات السنان

شق: والكاهن الآخر ذو خلقة   لم يحبس الخالق فيها أحد
قد شق من أعلى إلى أسفل   ولم يزل حيًّا بشطر الجسد
يمجد الله على خلقه   بشق وجه وبرجل ويد

إلى أن يقول الشاعر في صفحة ٢٣٦

يا أحكم الحكام في عالم   نصبتها الدهر عليه رصد
يا كاهني (عبقر) هل حكمة   أعدها للغد بين العدد ؟
أرسلها فوق رؤوس الورى   منشورة على غمام الجلَد
يلقفني موج التقادير أو   أكتبها بالنار فوق الزبد

ويستهل الشاعر ملحمته الشعرية في طريقه إلى (عبقر) بتصوير اليقظة التي تستحوذ على الشاعر ساعة الوحي ثم يصوّر لنا شيطان شعره بهذه الابيات: صفحة ١٤٨

في فمه من سقر جذوة منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني أنيابها والمحجر الغائر
كأنما محجرها كوة يطل منها الزمن الغابر

وما أن ازمع شيطان الشاعر أن يريه البقعة التي جاء منها واصطلح البشر على تسميتها عبقراً إذا به في (البلد المرصود) قرية الجنّ التي يصورها لنا وقد غطتها الغمامات الزرق وانبلج النور على جدران منازلها وملأ عزيف الجنّ إبراجها ووقف الابالسة حراساً على هذه الأبراج وإذا به إمام غرفة عبقر وقد لفت على وسطها ثعباناً وانبعث الدخان من شعرها والشرر من مقلتيها، وهنا يبث الشاعر رأيه في الناس وفي مدنيتهم على لسانها بقوله: في صفحة ١٦١

ويحك يا انسان
الق عصا سحرك
ذعرت فينا الجان فمذ بالشيطان
من شرك
وددت يا غادر لو انني أطلقت ثعباني لا ينثني
عنك فيرديك، ولكنني
أخشى على الثعبان من غدرك
في نابه السم كان وصار في صدرك
فليس هذا الصل بالأفعوان بل أنت يا إنسان
فارجع الى وكرك

ولا تزال (العرّافة) تلقي عليه سخرية بالناس ومدنياتهم حتى يضيق صدره فيطلب الى شيطانه أن يرحل به عن هذه البقعة فيطمئنه طالباً منه أن يصغي الى أميرة الجن التي أبرمت قبائل الجن بعصيانها وهي ترتل أغنيتها وما كانت هذه الأميرة إلا الشهوة الجامحة الساخطة على عالم الارواح وهنا نستمع للشاعر وهو يصورها لنا أروع صورة في ص ١٧١

جنيّة تمعن في وثبها كأن شيئاً حولها راعها
حلتها كالضوء شفافة عن بشرة تزيد اشعاعها
كأنما الشمس التي كوّرت من حلقات النور اضلاعها

القت الى الأرض بما أبدعته   ليكبر العالم ابداعها

ثم ينتصب روحها أمام الشاعر فيصيح : صفحة ١٧٣

ويحي من يشبع فيَّ النهم   أكلما استلقت على معصمي
روح فقربت اليها فمي   تملصت فلم أقبل ولم
أضم إلاَّ عدماً في عدم

وبعد أن تصف عالم الأجساد حيث لا تعدم الشهوة وسيلة لإطفائها تقول متحسرة : في صفحة ١٧٥

فنحن والهفي بنات الظلال   لسنا وقد حمنا على أرضنا
غير خليط من طيوف ضئال   كقطع الغيم .. إذا بعضنا
تعانق اضمحلَّ في بعضنا

وتشتهى عالم الأجساد وتتفاني في شهوته الى حد التضحية بروحها الخالد : صفحة ١٧٧ و ١٧٨ .

من لي بذي قلب خفوق الج   في صدره.. وإن يكن يختلج
لعاصف الموت اختلاج الشعل
يا حامل الجسم ألا أعطنيه   وخُذْ إذا شئت خلودي ثمن
روحي لا يبلى فمن يرتضيه   أحمل ما في جسمه من شجن
وشاحي الناريَّ من يشتريه   فانني أبيعه بالكفن..

وهذا شيطان الحروب الذي يخطط الحدود بين الأوطان بسياج من النيران ثم يبعث الغرور في الصدور فتستمر الحروب وكلما انتهت حرب كللَ رؤوس الغزاة بالتيجان كما يغريهم بإثارة حرب أخرى فأخرى لأن لذته القصوى أن يرى البشر يتناحرون : ص١٩٣

حتى إذا ما الجنود   ماتوا فدى الرايات
داس بقايا البنود   وطاف بالأموات
فانتزع القيود   من أرجل العبدان
ولفها تيجان   على رؤوس الغزاة

قالت العرَّافة منددة بكبرياء الانسان وأنانيته : صفحة ١٦٣و١٦٤

جعلت نفسك أعلى في الأرض من ربك

حسبت عيبك فضلاً فمش على عيبك

*

لا تمض في عجبك فانما الآلهه
ليست على دربك ما دام حب الذات
ينخر في قلبك !

أما نقائص البشر فلا يملّ الشاعر التنديد بها والدعوة الى التخلص منها ولا يكاد يخلو نشيد من ذكرها والالماع إليها : صفحة ١٩٦ و ١٩٧

فاندست الكبرياء تحت حجاب الحسب
وتحت ستر الآباء غلغل وجه الغضب
وانقلب العناد بين الورى حزما
وصار الاستبداد في عرفهم عزما

وقال بلسان الكاهن (شق) صفحة ٢٤٢ ، ٢٤٤

هل تنفع اليدان والواحدة تهدم ما تشيده الثانيه
نطقت من نصف لسان وفم فلم يضرني أي نطق يفوت
تالله قد بلوت دهري فلم أصل الى الحكمة لولا السكوت
وإنّ قلباً بعضه يشعر وبعضه كأنه الجلمد
حسبي منه نصفه النيّر لا كان قلب نصفه أسود . .

وختم نشيد (شق) بهذا التناقض البديع: صفحة ٢٤٤

سبحان ربي وهو رمز الكمال إني لولا النقص لم أكمل . .

ويبدع الشاعر في وصف ثورة البغايا وهن طراز تلك الجنيّة الثائرة المتمردة في الصفحات ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ فيقول:

هذي كؤوس الأمس يحملنها وهّاجة وليس فيها خمور
هل النهود البيض الصقنها من نتف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطها أهي من الفجر بقيّات نور
أم بقع منذ عناق الهوى توّجٌ فيها حمرات الثغور

*

فان دنت من الشفاه الشفاه نهزّها هزًّا ونشتفّها

كشارب الخمرة يدنيها   منه فكم تزيد من لذته
خضخضة الكاسات في قبضته   من قبل أن يمتص ما فيها

*

فمن لنا بطاعة الله   وهو الذي في وسط العاصفة
زج بنا بالأضلع الراجفة   والجسد المستسلم الواهي

لم نسمع قط أن رجحان كفة الميزان هو هبوط وخسارة ولكن الشاعر يرينا ذلك لأول مرة عندما ينصب شيطان المال ميزانه واحدى كفتيه فيها روح والأخرى مترعة ذهباً فتعلو الروح على الذهب : صفحة ٢٠٧

فكفة جوفاء مملوءة   من ذهب وكفّة خاليه
شدت بها الأرواح نحو العلى   فرجحت بالذهب الثانيه

وأخيراً هاك صورة حية واضحة يصف فيها الشاعر الموت ويصور لنا حقارة الحياة ـ صفحة ٣١٠

وسرت شوطاً فاذا بي أرى   جماجماً ورمماً باليات
كأنما الموت وقد قام عن   خوانه خصّ الثرى بالفتات
فقلت للشيطان هل مخبري   ما هو يا شيطان هذا الرفات؟
فقال لي وقد لوى ضاحكاً   هذا الذي تلده الأمّهات!

أما التماثيل والأنصاب التي يقيمها البشر محاولين فيها تخليد موتاهم فإن أرواح الموتى تنبذها وتستصغر شأنها لأنها تجعل من (الأحلام) (أحجاراً) وهذه الأرواح تحمل الشاعر سفارة هامة وهي إبلاغ الناس أمنيتها : صفحة ٣١٨

قل للألى يقرع صدر اللحود   أزميل حفارهم
أرواحنا تبني قباب الخلود   بغير أحجارهم

*

هذه لمحة عاجلة تناولت فيها ملحمة (عبقر) للشاعر الموهوب شفيق معلوف ولولا ضيق هذه الصفحات عن الأسهاب والإطالة لاستعرضت أناشيدها واحداً واحداً ولئن فاتني هذا التفصيل في المقتطف، فلن يفوتني في كتابي القادم (الناطقون بالضاد في اميركا اللاتينية). والديوان من منشورات العصبة الأندلسية بسان باولو بالبرازيل ومطبوع طبعاً متقناً على ورق فاخر

عمان — المملكة الاردنية الهاشمية

تبرير الغناء

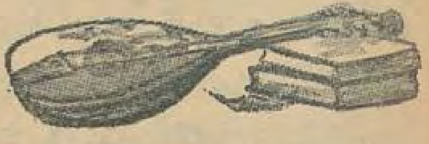

للأستاذ السيد كمال الشوري

ثالثاً — ﴿ الأدلة الواقعية ﴾ : —

١ — قالوا قديماً (خلق الغناء ليهب الفرح والسرور ، وخلق الفرح والسرور ليهب الغناء) فهما توأمان حبيبان لا ينفصل أحدهما عن الآخر . وقد أثبت الطب أن الفرح والسرور يغذيان الجسم ويساعدانه على النمو ، إذ بالسرور تنشط جميع الأجهزة في داخل الجسم فتقوى المعدة على الهضم ويقوى القلب على التنفس وهكذا . لذلك كرهوا أن ينام الطفل على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب . فقد ثبت بالتجربة أن الطفل يسكن الى الصوت الحسن ، والجمل يقاسي مشقة الأسفار وثقل الأحمال فيهوّن عليه بالحداء، والركب قديماً كان لا بدّ له من حاد يهوّن عليه الطريق ، كما أن الخيل كانت تسير وتشرب بالصفير . ولذلك قال الشاعر : —

أدرها بالصغير وبالكبير   وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فاني   رأيت الخيل تشرب بالصفير

وكذلك النحل يطرب بالغناء وأن أفراخها لتستنزل بمثل الزجل والصوت الحسن قال الراجز .

والطير قد يسوقه للصوت   اصغاؤه الى حنين الصوت

ومن هذا استنتج الفقهاء دليلا على اباحة الغناء. فقالوا: تغريد الطيور وسماعها مباح فان قال أحد حرام حكمنا بجنونه وإن قال مباح فالطرب من البشر مثله ، وان قال الصوت المطرب يستخرجه الناس من الآلات أو من المغنين قصداً واختياراً قلنا له وكذلك مع الطير يقصد سماعها ولا يحرم عليه ذلك .

٢ — وقد يتوصل بالألحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذبّ عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرق القلب من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت

ويمثله في ضميره . وكان أبو يوسف القاضي اذا حضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة فهو بمثابة رياضة روحية بها يصل العابد الى أعلى درجات النسك : ولذلك نجد المتصوفة كثيراً ما يستعينون بالموسيقى (النايات في أذكارهم ويقولون . أغثنا أدركنا . يا منى عيني) . وقديماً قال أبو نواس حين حجَّ مع الشاعر جنان وقد أُحرم الشعر الآتي يحدو به ويطرب فغنى به كل من سمعه وهو :

إلٰهنا ما أعد لك   مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك   لبيك إن الحمد لك
لولاك يا رب هلك   كل نبيّ وملك
وكل من أهلَّ لك   سبَّح أو لبَّى فلك

ويقول ابن الفارض :

قلبي يحـدثني بأنك منصفي   روحي فداك عرفت أم لم تعرف
يا مانعي طيب المنام ومانحي   ثوب السقام به ووجدي المتلف
رفقاً على رمقي وما أبقيت لي   من جسمي المضني وقلبي المدنف
وحياتكم وحياتكم قسماً وفي   عمري بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحي في يدي ووهبتها   لمبشرٍ بقدومكم لم اسرف

٣ — وفي أوربا تداوى بعض الأمراض العقلية بالموسيقى . وفي مصر والى عهد غير بعيد كانت مستشفى الأمراض العقلية تدفع أجراً لبعض العازفين ليحضر في أوقات معينة ويعزف بعض القطع على الكمان ليعالج بها بعض المرضى الذين بحسب استعدادهم يعالجون بالموسيقى وقد أثبت الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير أنه من الممكن تحضير بعض الأرواح بوساطة موسيقى خاصة .

٤ — وإذا عرفنا أن الجمال تناسب بين أجزاء مركبة سواء أكان ذلك في الماديات أم في المعقولات وفي الحقائق أم في الخيالات ، فان الصوت الجميل نوع من الجمال لأنه يقوم على تناسب بين النغمات

٥ — وكما أن أبيات الشعر قيود المعاني كذلك الألحان قيود الشعر فلا تزال أبيات القريض تتجافى عن الآذان حتى يقوده الصوت الحسن فاذا هو مستودع في الصدور . لذلك نشأت الأناشيد الدينية المختلفة والقصائد العلمية كألفية ابن مالك والأناشيد الحماسية في الحروب ليسهل حفظها ويقوى أثرها في النفوس .

٦ — والغناء فن من الفنون الطبيعية تهتدي اليه النفوس بالفطرة المترنمة في هدير الحمام وخرير المياه وحفيف الأشجار، فهو فن قبل أن يكون صناعة فن، من يوم ميلاده، فن بطبيعته ونشأته. لم يفكر فيه الناس وانما ظهر على ألسنتهم أول الأمر في صورة الحداء فكان الغناء من ذلك شيئاً لازماً للانسان لا غنى عنه لأنه متصل بالنفس ومشاعرها ومتصل بالحواس وما ينتابها فهو كالروح في الجسد.

ويترتب على كون الغناء فناً من الفنون النتائج الآتية.

١ — إن للغناء أهمية نفسية في المجتمع — فهو وسيلة لربط المشاعر بين الناس فهو من أقدم الطرق لخلق روح المشاركة الوجدانية بين الفرد وغيره في المجتمع فبوساطته سجل الانسان مشاعره ونقلها الى غيره في محيطه الذي يعيش فيه وعبّر عن مثله وآماله وغاياته في الحياة

٢ — أهمية انسانية تتمثل في أنه مظهر فطري عام في سائر المجتمعات البشرية على اختلاف أشكالها فنحن نجده عند الشعوب المتأخرة والمتمدينة على حد سواء

٣ — أهمية مادية — وهي أن الغناء متصل بالفنون العملية وهذه الأهمية هي التي تعطي الغناء قيمته الاجتماعية

٤ — والغناء كفن من الفنون متدخّل ومرتبط ارتباطاً وثيقاً بسائر شئون الاجتماع وظاهراته فهو مثلاً مرتبط بحياة الأسرة فالزواج من مستلزماته إقامة الأفراح التي تستخدم الموسيقى والغناء الخ...

٥ — كذلك يتدخّل الغناء في الحياة الدينية وخاصة في الديانة المسيحية فهي تستخدم الموسيقى والغناء والخطابة للتأثير على متبعيها.

٦— كذلك يتدخل الغناء في الحياة اللغوية فالقطع الغنائية ما هي الا شعر أو زجل حوى من الالفاظ والمعاني ما تنمو به اللغة.

٧ — ولما كانت الموسيقى والغناء في العهود والمجتمعات الحديثة التي تسودها الديمقراطية، كانت الموسيقى والغناء فناً ديمقراطياً لم تتقدم إلاّ في العهود الديمقراطية التي أقرت حقوق الانسان.

لذلك كله كان للمغنين الشأن الرفيع في مجالس الخلفاء والأمراء والنصيب الأوفر من جوائزهم وصلاتهم ولا غرو في ذلك فسلطان الوجدان كسلطان الأديان. وقد كانت الأصوات عند العرب تنسب الى واضعيها وتسمى بأسماء اصحابها كما هو الشأن في الشعر فيقال صوت إسحاق أو معبد كما يقال شعر مسلم أو بشار. وكان المغني أحرص على صوته من الكريم على عرضه، فاذا صنع صوتاً لا يسمح لأحد من المغنين بأخذه عنه حتى يغنيه مراراً وتعرف

نسبته اليه كما يفعل اليوم المخترعون والصانعون من أخذ الامتيازات لمخترعاتهم وصناعاتهم. وكانت مجالس الغناء عندهم تشبه ان تكون مجالس علم لدراسة هذا الفن وتهذيبه، فكان أحدهم لا يحجم إن رأى في صوت صاحبه عيباً أن يكلمه فيه وان يبين له مواضع الخطأ مهما يعظم شأن المجلس وشأن صاحبه.

وخلاصة البحث: — ان السماع ينقسم الى ثلاثة اقسام وهي: —

١ — حرام محض — وهو لمن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم وفسدت مقاصدهم ولا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة.

٢ — مباح — وهو فيما أظن لمن قصد به مجرد التلذذ بالصوت الحسن وجلب السرور والفرح أو يتذكر به غائباً فيستريح بما يسمعه.

٣ — مندوب — وهو فيما أظن لمن غلب عليه حب الله والشوق اليه فلا يحرك السماع منه إلاَّ الصفات المحمودة وتضاعف الشوق الى الله واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العالية، فمن ظهر له ذلك فهو مندوب له مباح وهذا القسم الثالث هو سماع الصوفية أهل الصدق والاخلاص. ويبدو لي ان الغناء لا يحرم إلاَّ اذا كان غالباً على صاحبه بحيث يشغله عن اداء الفرائض لله، أو كان في هوى مذموم، أو كان بمثابة شاغل له عن اداء عمله وواجباته والاَّ فهو جائز.

﴿ استدراك ﴾: وإذا احتج اعداء الغناء بان الغناء يميل في هذا العصر الى العاطفة الجامحة فما من أغنية إلاَّ وملؤها الحب والهيام والهجر والخصام الذي يشجع النشء على المجون، فلا شك أنهم محقون في ذلك، لأن مثل هذا الاتجاه في الغناء يسيء اليه كفن له مكانته وعظمته. حقيقةً كان الغناء في مصر منذ عشرات السنين يميل الى المجون بسبب رداءة التأليف

وكذلك كانت الموسيقى المصرية القديمة بدائية هزيلة ليس فيها عمق ولا سموّ ولا معنى فكانت أناشيد الأذكار أعمق ما فيها، وكان جمهور مستمعيها من ذوي الجهالة والضلالة وكان الكلام الذي تتألف منه الأغاني محشوًّا بألفاظ تركية أو ألفاظ عامية ليس فيها ذوق أو جمال مثل: —

ماشفتوش « علي » يا ناس   لابس قميص ولبـــاس
ويلــعب البرجاس   عالقنـــــــطرة

لكن الغناء في هذه الايام تطوّر تطوراً مشكوراً محموداً فها هو الأستاذ محمد عبدالوهاب يعمل على ترقية النشء وتثقيفه بأغانيه فيصوّر لهم تاريخ كليوباترا المجيد في

أغنية كليوباترا ويجنبهم الشقاق والخلاف في أغنية (إلام الخلف) ويدفعهم الى المطالبة بحقوقهم الوطنيـة في أغنية السودان ونشيد العلم وغيرها من الأغاني بل من الدروس الاجتماعية الخالدة وها هي صاحبة العصمة الآنسة أم كلثوم ابراهيم كوكب الشرق تصف الربيع وتغني للعيد وفي هـذه الأغاني وغيرها تسمع غناء شرقي الطبع ، انساني المنزع والغاية وذلك لأنها تختزن في ذاكرتها القوية مدداً لا ينفد من المشاهدات والملاحظات وتطالعنا موسيقاها في أغنية (غلبت أصالح في روحي) بخيال سامٍ وفكر عميق وهي مزيج بديع من العقل الشرقي في كمال يرتفع عن الشهوات وجمال ما بعده جمال. ثم هي لم تقتصر على الغناء الوصفي بل سبقته الى غناء أسميه (بالغناء الوطني) كما في (أغنية السودان)

هـذا الغناء كله تهذيب وإصلاح لأنه يطهِّر المقول من طيش الشباب ونزواته وإنه لمن دواعي الفخر أن يكون لأم كلثوم الفضل الأكبر في (الغناء الروحاني) كما أسميه وهو غناء يُقصد به تطهير القلوب من نزعاتها وشرورها وحملها على العبادة وذكر الله فها هي تصور لنا حياة العرب أيام الرسول وما فيهـا من نسك وعبادة وكأنها حين تغني تستحضر صور الرسل والأنبيـاء بما لهم من مهابة وجلال. ذلك لأنها تغني كلاماً هو أقرب الى التصوف والعبادة بل أن في غنائها له تصوُّف وعبادة لأنها بحسن أدائها وبراعة تصويرها للمعاني تخلق لنا حياة صوفية حية ناطقة. فهي حين تغني ذاكرة خالقها أو مادحة رسوله الكريم إنما تعبر عن إخلاصها وصدق إيمانها وعميق حبها لله والرسول. وهاكم مثل من أغانيها الصوفية : —

ولا ينبيك عن خلق الليالي   كمن فقد الأحبة والصحابا
فمن يغتر بالدنيا فاني   لبست بها فأبليت الثيابا
جنيت بروضها ورداً وشوكاً   وذقت بكأسها شهداً وصابا
فلم أرَ غير حكم الله حكماً   ولم أرَ دون باب الله بابا

وها هي أم كلثوم أيضاً تمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدتها المحبوبة نهج البردة التي جاء فيها :

لزمت باب أمير الأنبياء ومن   يمسك بمفتاح باب الله يغتنم
محمد صفوة البـاري ورحمته   وبغية الله من خلق ومن نسم

وكذلك تصور لنا أم كلثوم في أغنية (وُلد الهدى) جمـال الدين وجلاله وعظمة الرسول وكماله إلى غير ذلك من الأغاني الروحية الخالدة .

ورحم الله أحمد شوقي بك الذي نظم هذه الدرر الغوالي التي تغنيهـا أم كلثوم والتي

ازدهى بها الشعر المصري وصار من الخالدين. وإن قصيدة (وُلد الهدى) لأكبر دليل على خلود شعر شوقي بك لأنها تتضمن معاني واضحة كالشمس ثمينة كالدر عطرة كالزهر صاغها في الفاظ مناسبة لهذه المعاني تمام المناسبة حتى تكاد تعلن عن معانيها بمجرد النطق بها. ولست أدري هل كان رحمة الله عليه ينظم شعراً من ألفاظ ومعان أم يجمع أرواحاً من صور ومعان حين قال :

ولد الهدى فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله   للدين والدنيا به بشراء

هذه الأرواح وتلك المعاني السامية تغنيها الآنسة أم كلثوم فتضفي عليها من صوتها وفنها ما ينطق هذه الأرواح والمعاني بل إنها بروحها الطاهرة اللغة التي نفهم بها المعاني، أما شجوها .. أما تغريدها فهو المعاني السامية التي نحسها ونلمسها ونشعر بها دون أن نعبر عنها . ولقد رأيت الكثيرين يطلقون البخور ويتوجهون بالدعاء إلى المولى عزَّ وجل حين تغني أم كلثوم (ولدى الهدى) ولما سألت أحدهم عن سبب ذلك قال إنه كاد أن يرى الرسول الكريم في جلاله ومهابته ومن حوله الملائكة يسبحون ويستغفرون .

ربما يعترض البعض علينا بحجة أن الغناء عاطفة . غير أنه أصدق العواطف ما تنزه عن الحاجة والغاية ، ومناجاة الله لا حاجة فيها ولا مقصد من ورائها، فنحن نناجي الله حباً في ذاته الكريمة لا نقصد ثواباً ، ولا نخشى عقاباً. وإذا صدرت عاطفة الحب الصادق عن قلب صادق صارت بذاتها نغماً لا يعادله نغم، كلماته استغفار وأنغامه استرحام، وصداه وحي يوحى إلى القلوب فيملأها نوراً تحيا به الأرواح والأجساد. لهذا كله ارتفع الغناء وبلغ الذروة بغناء أم كلثوم في أغاريدها الثلاث (سلوا قلبي) و (نهج البردة) و (وُلد الهدى) —

وإنه لمن دواعي السرور حقاً ان تراعي محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية النواحي الاجتماعية والخلقية في الأغاني المختارة فهي لا تقبل بحال الأغاني المبتذلة الرخيصة وبعد أفلا ينهج المطربون والمطربات في الوقت الحاضر نهج أم كلثوم وعبد الوهاب في أغانيهما حتى يرتفع الفن إلى درجة النفع والاصلاح .

[المقتطف] : — نشكر كاتب هذا البحث على الجهود التي بذلها في سبيل توضيح تبرير الغناء، غير ان أبيات ابن الفارض المذكورة في صفحة ٢٠٨ ليست نصاً صريحاً بأنها لله ولا يليق أن تكون له تعالى فهي ليست في الموضوع . ثم ان الكلام في الحرام والحلال في الدين أدق موضوع وأصعبه ، فكما لا يجوز ان يحلّ انسان ما حرّم الله ، لا يجوز ان يحرّم ما احلّ الله، فنحن لا نجزم بأن استماع الأغاني حرام.

أندريه جيد

١٨٦٩ – ١٩٥١

توفي في باريس الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد عن اثنين وثمانين عاماً مخلفاً وراءه ثروة أدبية كبيرة وثروة فكرية غذت العقول وكيّفت الأذهان في قرن من الزمان وسيكون لها في الغد البعيد أثر مذكور ملموس. وقد منح أندريه جيد جائزة نوبل في الآداب في عام ١٩٤٧ تقديراً له على ما أسداه من خدمات للفكر والإنسانية بمؤلفاته الكثيرة ومسرحياته ويومياته وهو عضو المجمع العلمي الفرنسي.

وزار أندريه جيد مصر غير مرة وهو صديق شخصي لمعالي الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وقد ترجم له معاليه كتاب «اوديب وثيسيوس» كما نشر له عن دار الكاتب المصري ترجمة لكتابي «الباب الضيق» و«جنة الأفاعي» وقد قام بترجمتهما الأستاذ نزيه الحكيم، وكتاب «مدرسة الزوجات» الذي ترجمه المرحوم الدكتور صبري فهمي

ولعلّ من ابرز ما كتبه اندريه جيد «يومياته» وهي تعد تحفة أدبية في منهاجها وقالبها واتجاهها، غير أنه يؤخذ عليه فيها اتجاهه الى انحراف جنسي في تعبيراته يستغرب كثيراً من مفكر كبير مثله، وأندريه جيد يعد أكبر كاتب في فرنسا وقد وافته منيته على أثر إصابته بالتهاب رئوي حاد صحبه هبوط في القلب فلم تحتمل الثمانون عاماً آلام المرض فقضى نحبه في ليلة التاسع عشر من شهر فبراير ١٩٥١ وكانت الى جواره كريمته الوحيدة السيدة كاترين لامبر وزوجها. وقد زار أندريه جيد روسيا وكتب سلسلة من المصنفات اعرب فيها عن عدم رضائه عما شهده فيها. أما جائزة نوبل التي منحها له المجمع العلمي السويدي فقد قدمت له تقديراً لبحوثه الكثيرة الفنية التي عرض فيها بمشكلات الانسانية وأحوالها بغير خوف أو هوى، وكان محباً للحق مدركاً لشؤون النفس ومشكلاتها.

ومع أن أندريه جيد كان ذا شهرة عالمية إلاّ أنه كان يعيش عيشة مطبوعة بالتقشف والبساطة والدعة شأنه في هذا شأن برنارد شو. ومن عجب أنه مات بعد شو ببضعة أشهر. ومات بعد سنكلير لويس بشهر واحد، وكأنما الموت يتربص الآن للأدباء بالمرصاد.

وكان أندريه جيد حتى في أثناء مرضه الأخير يستيقظ مبكراً ليكتب وظلت هذه العادة تلازمه حتى اشتدت عليه العلة وأمسك في فراشه.

✡✡

التقويم الزراعي

لشهر فبراير ١٩٥١

---

(١) – ﴿ الحاصلات ﴾

البرسيم – يستمر في حشه ورعيه

القمح – يسمد للمرة الثانية

باقي الحاصلات الشتوية – تروى عقب المدة الشتوية وتنقى الحشائش

القطن – يبدأ بزراعته في الوجه القبلي وجنوب الدلتا

القصب – يستمر الكسر والزراعة وري الحلفة

(٢) – ﴿ البساتين ﴾

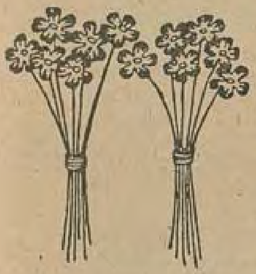

(ا) – الفاكهة : تستمر زراعة الأشجار ، ويسرع في الانتهاء من زراعة الأشجار التي تبكر في الأزهار كالخوخ والمشمش . اتمام عمليتي التسميد والتقليم قبل تحرك العصارة في الفروع والأغصان بعد فترة الشتاء . زراعة عقل العنب والتين والرمان ، وبذور النارنج والليمون البلدي والقشطة الطرابلسي بمشاتل الوجه القبلي (في نهاية الشهر)

(ب) – الخضر : زراعة عروات مبكرة من الملوخية والخيار والفاصوليا والقرع والبطيخ والبطاطس الصيفي . زراعة عروات من الفجل واللفت والجرجير والرجلة والبقدونس . زراعة عروات متأخرة من الجزر الأفرنجي شتل الباذنجان والفلفل (زراعة شهري أكتوبر ونوفمبر) غرس شتلات الخس البلدي والطماطم الصيفية . زراعة بذور الكرفس والكرات أبو شوشة والباذنجان.

(حـ) الأزهار : يستمر في تقليم الورد وتنقل الأنواع المطعمة الى الأرض المستديمة ، تجهيز عقل الجازونيا . يستمر في زراعة الأراولة في مكان ظليل . خف الأزرار الزهرية للقرنفل وتجهيز العقل للزراعة . زراعة بذور الداليا والكليوس في أواخر الشهر . تسميد الأشجار والشجيرات .

✡ ✡

مكتبة المقتطف

« شاعر وكتاب »

تأليف الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى — صفحاته ٦٤ صفحة من قطع المقتطف
طبع بمطبعة الفاروقية الحديثة بمصر ١٩٥٠

رسالة صغيرة وضعها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس في كلية اللغة العربية ، للتعريف بالأديب الشاعر النابغة « ابن سنان الحلبي » ، وبكتابه الفريد « سر الفصاحة » .

تناول فيها شخصية الرجل القوية وموهبته الأدبية الممتازة وثقافته الواسعة في ستين صفحة . ودعا الأدباء في آخرها إلى العناية بهذا الرجل الفذ والأديب المتضلع . وقد تلونا هذه الرسالة ، فأدركنا الجهد الكبير الذي أنفقه مؤلفها في التعريف بشاعر رصين ، وناقد حصيف من أبناء القرن الخامس الهجري لم ينل حظه من الشهرة الأدبية . وكأن بينه وبين الحظ جفوة وعداء في الحياة وبعد الموت ، كما يقول ابن سنان في جمال :

بيني وبين الحظ داجية   عمياء لا نجم ولا سحر   (ص ١٧)

ومع قلة مصاحبتنا للتراث القديم فقد جذبنا المؤلف جذباً للوقوف طويلاً لدى شخصية ابن سنان المتفردة ، ونقده المتزن ، وشعره البديع الذي لمعت فيه أضواء الأصالة .

فابن سنان ، كما أبان المؤلف . رجل ذو إباء وترفع وطموح ، لا يقول الشعر للتكسب كما كان يفعل جلّ شعراء القدامى ، بل للوصول إلى الجاه والرفعة ، وفي ذلك يقول لابن حمدان (ص ٢٦) .

يظن العدى أني مدحتك للغنى   وما الشعر عندي من كريم المكاسب
أعني على نيل الكواكب في العلا   فأنت الذي صيرتها من مطالبي

وابن سنان تجمعت فيه سمات الناقد المتزن الحصيف ، فهو كما يقول المؤلف (ص ٤١) « منصف في حكمه ، معتدل في نقده ، يعتمد على الحجة والدليل قبل كل شيء ، ويختبر كل شيء بميزان العقل والتفكير . ويرتب كل شيء على أساس العقل واستنتاجه » ومنهج هذا الأديب القديم الكبير في النقد ، يماثل المنهج المصري ، وهو جدير بالتأمل ، والاقتداء ، وأنه يبهرنا في بيان منهجه إذ يقول « إنا لانتسرع إلى نقص الفضلاء ، بل ننظر في أقوالهم ، ونتأمل المأثور عنهم ونسلط عليه صافي الذهن ، ونرهف له ماضي الفكر ، فما وجدناه موافقاً للبرهان وسليماً على السّبر ، اعترفنا بفضيلة السبق فيه وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله ، وما خالف ذلك ، وباينه ، اجتهدنا في تأويله وإقامة المعاذير فيه وحملناه على أجمل وجوهه وأجمل سبله ، ايجاباً لحقهم الذي لاينكر ، وإذعاناً لفضلهم الذي لا يجحد »

*

وشعر ابن سنان رقيق ، حلو الماء ، جزل البناء ، يمتاز كما يقول المؤلف (ص ٢٩) «بامتلاء المعاني والأفكار العقلية . وبقوته ، وجمال العاطفة فيه ، وظهور شخصية الشاعر وغلبتها عليه» وقد أحسن المؤلف بإيراد نماذج من شعره ، ووعد بأفراد دراسة مستقلة لديوانه وقد لحظنا في النماذج القليلة التي أتى بها أصالة في صوره الشعرية خليقة بالاعتبار ومن ذلك قوله : (ص ٤٥) : —

وقد أتوك بمين من حديثهم يكاد يضحك منه الحبر والصحف

فضحك الحبر والصحف من أقوال أحدائه الكاذبة ، صورة شعرية مبتكرة ، غير مسبوقة على ما نعلم .

وقوله في عتاب الأمير أبي الحسن بن منقذ ، (ص ٢٥) : —

ومسيري أدب في ظهر عجفاء تبارى أعضاؤها بالهزال

يضم صورة مبتكرة للناقة العجفاء التي يركبها ، وكأنما نحافة أعضائها تتبارى مع الهزال .

ولقد خصّ المؤلف لكتاب « سر الفصاحة » احدى عشر صفحة ، لخص فيها آراء ابن سنان ، في فصاحة الألفاظ المفردة ، والألفاظ المؤلفة ، والمعاني والفرق بين الفصاحة والبلاغة وما الى ذلك من البحوث وذكر أن هذا الكتاب وعى كثيراً من الآراء الحافلة في الأدب والنقد والبيان ، وأنه بحث مفصل في أسرار الفصاحة والبلاغة فهو أثر كبير خالد على الثقافة الأدبية والبيانية (ص ٤٠) ووعد في آخر رسالته نشر كتاب سر الفصاحة

مع صديقه الأستاذ حسن جاد فلعلهما يكونان قد قاما بذلك ليضما الى الذخر البلاغي ، مصدراً من أقيم المصادر .

وأما ديوان ابن سنان ، فإنه يلقى اليوم ، من الأديب السوري اللامع الدكتور سامي الدهان ، أجل عناية في التحقيق والاخراج ، وهو جد جدير بالاضطلاع بهذا العمل الأدبي ، لبصره الحاذق في هذه الناحية .

وببعث هذين الأثرين — كتاب سر الفصاحة ، والديوان لابن سنان ، تعيش بيننا سيرة عربي أديب طموح، نفس عليه معاصروه طموحه ، ولقي حتفه على يد صديق حميم .

ولا يسعنا إلا تهنئة الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى على رسالته الصغيرة ، وأن نبارك جهوده الناشطة في إحياء تراثنا الأدبي النفيس . آملين من المسئولين ، الالتفات الى هذه الجهود ، ومعاونة صاحبها ، وتمكينه من اتقان عمله ، بالتنقيب عن هذا التراث المبثوث في المكتبات الاوربية المختلفة .

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

١ — صور من حياتنا

للاستاذ محمد مجذوب — صفحاته ١٦١ صفحة — طبع بمطبعة الترقي بدمشق

زميلنا الأستاذ محمد مجذوب قد اجتذبته الحقيقة الفنية فصرفته عن واقع الحياة المرير، ونقلته الى عالم آخر يعيش في أبراجه ، لا يعبأ كيف تجري حياة الناس ، وكيف تصاريف الأقدار فيهم ، ولا بما تواضعوا عليه من الاعتراف بالواقع والوقائع ولا بما لزملائه المدرسين من تقاليد قد تصل بهم الى حد الجمود أحياناً . . ولكن لا بأس ، فالخروج على مواضعات الناس شيء مألوف في دنيا المجاذيب ! !

وحسبنا من الأستاذ المجذوب أن يكون مخلصاً لفنه ، فيرسم طريقه في ضوء هذه الحقيقة الفنية التي تتخطى كل الحدود ، لتعبر عن خيال صاحبها وحسب ، غير عابئة في سبيل ذلك بحقائق التاريخ أو الاجتماع أو الطبائع البشرية .

ومن خلال هذه العدسة تتأمل موكبه الحافل تتهادى فيه «صور من حياتنا» كما ينبغي أن تكون ، وقد تخير المؤلف من صور هذه الحياة المثالية عشرين صورة عرضها في ثوب قصصي أو مسرحي جذّاب .

وقد قاس شخصياته على أنماط «المعذبون في الأرض» للدكتور طه حسين باشا، فنخرج من المقارنة بأن هذه وتلك تجري في حلبة واحدة .

بيد أن شخصياته تعيش في عالمه هو ، وتتصرف بوحيه هو ، وكأنه يمسك بزمامها فيحركها — أنى يشاء — حركات آلية ، وهو بهذا يحررها من عالم الواقعية الجامد ، ليربطها إلى عجلة الفن ، ويضعها في قوالب تضيق بها أحيانا وتتسع أحياناً ، فهو لم يجردها من دائرة الواقع إلى الانطلاق والتحرر ، ولكنه نقلها من دائرة إلى دائرة . وشتان بين الانطلاق في سماء الحرية والتقيد في حدود مضروبة مفروضة ، فرق بين شخصية مثالية تشعر بتفوقها ، وتشعرك بالإعجاب بها أو العطف عليها أو الرثاء لها — وبين شخصية حبيسة (كالموديل) في معرض الأزياء . تلك ذات هدف مرسوم ، تتصرف به وله مهما يكن مغرقاً في الخيال ، فيملؤها هدفها حيوية دافقة ، ويمدها بالدم الفتى الفائر ، النابض بالعواطف والانفعالات ، وهذه ملقاة في مهب الحوادث ، تنتظر أين تتجه لتجرفها في طريقها . .

. . الأولى تقاوم عوامل الأغراء والضعف والوهن ، لتتفوق على ضرورات الحياة ، والثانية تكفيها اللمسة أو الاشارة من أصبع الحياة لتندفع إلى آخر الشوط .

وشخصيات الأستاذ « المجذوب » تجري في هذا المضمار المرسوم تتفاعل في داخلها العوامل الخفية المبهمة التي لا نشعر بها ، ثم تفاجئنا بالانحراف إلى هدف غير معين ، تضيع معه في غمار الناس ، وتعود إلى الحياة التي أراد المؤلف أن يميزها عنها . وتتميز أطوار حياتها بالتحول المفاجىء — عند نقطة معينة — إلى الطريق الذي أراده المؤلف ، فتتصرف فيها نوازع الخير والجمال بلا دواع ولا ممهدات ، إلا عواطف الخير التي تبرز فجأة ، وتطفو فتطرد أشباح الشر التي تنصرف صاغرة طريدة بلا نضال ولا ضجة ولا مقاومة .

لكن طلاوة أسلوب الكاتب ، ورصانته وسلاسة حديثه جعلت من هذه الأقاصيص شيئاً ممتعاً حقاً يغري القارىء بمتابعة القراءة ، ويحمله على التأمل في هذه الصور حتى يخرج منها بالمغزى الذي وفق الكاتب إلى إبرازه وتلوينه بألوان عاطفية إنسانية كريمة .

لكن القارىء المصري سيحتاج أحياناً إلى قاموس سوري ليفهم بعض المسميات التي تختلف أسماؤها في البلدين ، كما سيقف — كما وقفت — عند بعض التعبيرات يستوحيها ما تحمل من معان ، ويعصرها عصراً ليستخرج منها المعاني التي تعنيها .

وسيدهش للمحسوبية الصارخة في تفضيل بعض حروف الجر على بعضها الآخر ، كالباء التي تصحبه كثيراً لتعني ما تعنيه (في) و (إلى) ، كذلك سيعثر ببعض الأخطاء اللغوية الشائعة التي لا يدركها إلا الفنيون أمثال الأستاذ « مجذوب »

وهذه الهنات كان لا بد منها كالتميمة لهذا المعرض القيم الذي تتجلى فيه صور من حياتنا

متتابعة منسقة في إبداع لا تستطيعه إلا يد فنان واسع الأفق ، متيقظ الحس ، ذي بصيرة نقادة .

وحسب القارىء أن يجد في هذا الكتاب ما يشبع فضوله بالتعمق في صميم الحياة وأن يكشف عن خفاياها المضطرمة في نفوس الأحياء ، أثناء جولاته الموفقة في متحف المؤلف القدير .

٢ – وحي الأمومة

بقلم السيدة روز عطا الله شحفة صفحاته ٢١٨ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة صادر ريحاني ببيروت

لاحديث للناس اليوم إلا هذه المظاهرات التي شنتها المرأة المصرية على حكومة مصر وبرلمانها ، وعن هذا الانذار المسلح الذي وجهته لمسئولين ، وستظل مصر — صحافتها وهيئاتها وأنديتها — تتحدث طويلاً ، وتتناول هذه الحركة بالأساليب المختلفة التي تمثل آراء أصحابها حول قضية المرأة ، وفيهم الساخر والمتحامل والمتشائم ، وفيهم المناصر والمحايد والمتفائل.

ولقد ارتفعت هذه الاصوات الناعمة بنشيد الحرية ، وهذه الأيدي الناعمة قد ألقت القفاز في وجه المسئولين تتحدى !!

وبقي أن ننتظر حكم الحوادث ، بعد أن انفجرت هذه القنبلة الممطرة ، فتجاوبت أصداؤها في أنحاء العالم .

هذه الصيحة المدوية في مصر ، يجاوبها صوت آخر من ربوع لبنان . بلد الجمال والحرية !!

صوت حنون ! لأنه صوت أم تسامت أمومتها ، فوسعت أبناءها ، ثم أبناء وطنها ، ثم أبناء أمتها ، ثم بني الانسانية أجمعين لكنه — إلى ذلك — صوت مجلجل ، لأنه صوت الحق ، عتيد ، لأنه صيحة الإيمان ، جريء ، لأنه مزامير الحرية ، مبين ! لأنه دعوة الحياة المثالية للأمة العربية ممثلة في فتيانها وفتياتها ، ونشئها ونسلها .. ممثلة في الأساس الجديد لعالم الغد المنشود .

وعلى ما في الحركة النسائية العربية من زيف وبهرج ، فان السيدة « روز عطا الله شحفة » صاحبة هذا السفر ، قد ترفعت عن التهريج وتسامت إلى أن تكون داعية حق ، يبشر بنصيب المرأة الكامل في الحياة .

وسبيلها أن تأخذ بيد المرأة العربية لتضعها على موطن الضعف في نفسها ، وسبب التأخر في بيئتها ، والجمود في عقليتها — قبل أن تأخذ بتلابيب الرجل ليعترف بأن المرأة قد انقلبت فجأة إلى بطل أسطوري يستطيع ما عجز عنه فحول السياسة والاقتصاد والاجتماع. ولابد لكل منصف أن يوافق السيدة « روز » في الوسيلة إلى هدف المرأة العربية ، فقد علمنا واقع الحياة أن الحقوق لاتستجدى ولكنها تؤخذ ، وأن حقوق المرأة ليست متعاً أو مغانم ولكنها تبعات جسام ، تنوء بها كواهل الرجال

فشاركة المرأة فيها معناها قيامها بنصيبها من أعباء الحياة وهمومها ، والصبر على ممارسة أقسى محنها وتجاريبها .

والرجل — في الحق — لايعارض هذه المشاركة ، ولكنه ينساق مع الطبيعة البشرية الضنينة بكل مسئول مهما يبلغ من الهوان .

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا ـ إذا قيل هاتوا ـ أن يملوا ويمنعوا

وسبيل المرأة ـ التي لا محيد عنها ـ إلى نيل ما تدعوه حقوقاً ، ونسميه نحن أعباء ـ أن تحصن نفسها بالثقافة الواسعة ، والاطلاع المثمر والتمرس بالاعباء الجدية لحياة الأمة ، والتسلح بالخلق الكامل والمثالية العالية ، فما قيود المرأة إلا قيود وهمية ، تتحطم من تلقاء نفسها إذا قويت شخصية المرأة وسمت مداركها واتسعت آفاقها ، وقوة المرأة لاتستمد ، ولكنها تنبعث من داخلها ، فتمهد لها المركز المنشود في الحياة ، وما دام التطور سنة الحياة ، والبقاء فيها للأصلح ، فسيتوسل إليها الرجل — يومئذ — أن تتسلم زمام القافلة ، وتقود الحضارة ، ما دام مطمئناً إلى أنها لن تقودها إلى الهاوية .

وللمؤلفة حكمها الفاصل في هذه القضية ، فهي من رائدات النهضة النسوية التي تهدف إلى مشاركة الرجل مشاركة فعالة ، في احتمال أعباء المجتمع والكفاح في سبيل إسعاده .

وهي من طراز نادر في المرأة العربية ، يجيء ترتيبها في الصف الأول من زعيمات الجيل ، أمثال الزعيمة الراحلة «هدى هانم شعراوي» زعيمة النهضة النسائية المصرية ، والكاتبة النابغة « مي » .

ثم هي نسيج وحدها في جهادها ودعوتها إلى حرية كريمة غير مندفعة ولا متهورة . . إلى نهضة مباركة متئدة ، تقوم على أساس من قوة إيمان المرأة بواجبها ، داخل البيت أولاً ، ثم منبعثة خارج البيت مسلحة بقوة الخلق ، وقوة الشخصية ، وقوة العزيمة .

فاذا كان للمرأة العربية دور في النهضة الوليدة ، فن هنا تكون البداية . . من حيث

تنبثق أشعة الفجر الجديد ! !

وكتاب « وحي الأمومة » يجيء في حينه ليصنع دستور المرأة العربيه الحديثة في كلمات :

« فهي تكره الترجل الذي يوجس منه الرجل شراً .. وتمقت الوهن الذي يحلل عقول المغاليات بأنوثتهن .. »

« كما أن عليها مسئولية عظمى عندما تسأل الزواج ، فلا يهمها من الزوج اسمه ولقبه ، وما يسرها من جماله وغناه ، بل لتنظر لمرمى أبعد .. لتنظر لمستقبل بلادها الموضوع بين يديها ، فالشعوب إما أن ترتقي أو تضمحل أمام مذبح الزواج المقدس » .

« الأم ركن من أركان الحضارة ، ولها الحق في تنشئة الطفل ، وبث المثل العليا في نفسه ، وهذا ماينبغي أن تفهمه كل فتاة » .

ثم ليوجه المرأة العربية إلى نقطة البداية :

« أيتها السيدات الحكيمات ، حاملات المصابيح المشعة نوراً ، السائرات بعملكن دون ضوضاء .. أرى أثر الانتصار على التقاليد بثباتكن وعزمكن الذي لم يزعزعه داع من دواعي التفرقة . أثبتن إلى النهاية مؤمنات .. لتقدمن لبلادكن دعامة إنسانية سامية » .

وكذلك تمضي السيدة الجليلة حاملة مشعل الحرية الوهاج لبنات جنسها في طريق الحياة الوعر المظلم الشاق ، حتى تؤمنهن عثرات الحياة ، ومتاهات البيداء .

من هذا كان الكتاب سجلا للإصلاح كما تتصوره امرأة مثقفة ، وهو عرض طريف لمشاكل الأمة العربية ، ولذا فهو جدير باطلاع كل فتاة تنشد الثقافة وتبغي الاصلاح ، جدير كذلك بأن تتدبر كل فتاة ، وكل سيدة وكل أم في البلاد العربية ماحواه من آراء ناضجة وأفكار جريئة ، إن لم تحل مشاكلنا ، فقد وضعتها في طريق الحل ، وجدير إيضاً بعناية المشتغلين بشئون الاجتماع في الأمة العربية ، وتربية الجيل الجديد لبناء نهضتها :

وهو موضوعات متفرقة في شئون الحياة عامة ، إلا أنه متساوق الترتيب ، كما تنسجم الأنغام المختلفة لتؤلف أعذب الألحان . ولم يقتصر الكتاب على النسويات بل تناول شتى الموضوعات الأدبية والفنية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية ، تعالجها بأسلوب الأديب المتمكن ، وروح الفيلسوف الهادىء المتزن .

رضوان ابراهيم مصطفى

[المقتطف] يهنىء الكاتبة الفاضلة بكتابها النفيس ويرجو لها اطراد التوفيق والنجاح في توجيه بنات جنسها ويتمنى لكتابها « وحي الأمومة » ما يستحقه من ذيوع وانتشار.

العاصفة — للشاعر وليم شكسبير

تعريب الاستاذ محمد عوض ابراهيم بك — صفحاتها ١١٥ صفحة — طبعت بمطبعة دار المعارف بمصر

لعلي لا أكون مغالياً أو متحيزاً إذا قلت إن الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك أول رجل في الشرق العربي يضرب بسهم وافر في هذه الناحية الشائكة من التأليف .

فعوض بك من هؤلاء الرجال الذين أوتوا مقدرة على صوغ العبارات المتزنة المحبوكة في الترجمة التي لا يبزه فيها واحد من اولئك الذين يدعون في كل يوم أن لهم مقدرة على فهم التعريب وباعاً في الترجمة، وكتب هذا الرجل خير شاهد له على تضلعه في هذه الناحية وتفوقه في هذا الميدان الذي هو فيه الفارس المغوار ، وأقرب دليل على قوة هذا الرجل. هذه المسرحية التي عرّبها للشاعر الفذ وليم شكسبير فقد بذل فيها عوض بك جهده في سبيل اخراجها في هذا الثوب الجميل الذي زها بحسن وشيه واختال بما خلعه عليه من رسوم ونقوش.

فالمسرحية تمثل حقبة من أخطر الحقب في تاريخ دوق ميلان الذي كان عاكفاً على دراسات عقلية ، منشغلاً بها عن الحكم الذى استبد به اخوه واستعان عليه بملك نابولي الذي أصبح ابنه فيما بعد صهراً لدوق ميلان الذي حملته الرياح وصيرته الى جزيرة نائية بيد اخيه المستأثر بالسلطة، المتمتع بالسلطان الذي دارت عليه الدائرة بعد .. وأصبح في حالة من الشقاء لا توصف وهو يتجول في انحاء الجزيرة التي اعمل اخوه المخلوع سحره فيها حتى جنحت السفينة اليها تحمل ذلك المستبد وملك نابولي وأخوه وابنه ...

وهكذا يمشي المعرّب تعصف به هذه العواصف الهوج التي يتزلزل من هولها قلم كل كاتب جبار .. ولكن عوض بك يمضي في هذه المسرحية على نسق لم نعهده في جميع الذين ترجموا لهذا الشاعر .. إذ لم يتعمد المترجم في ترجمته الأصل مع ما فيه من تعقيد ونقاط يحسن بالمعرب أن يتزحزح عنها ، حتى يتفادى تلك الكبوات التي تتولد من هذا الأصل المعقد الذي مشى عليه المترجم لا يفارق اتزانه ولا يفلت من يده هذا النغم الذي أشجى به عوض بك كل مطالع لرواياته وبحوثه في هذه الناحية التي تدين له بما بذل فيها من جهد، وما ضحى في سبيلها من مال ووقت ..

وأنا لا أخال المطالع لمسرحية « العاصفة » الخالدة التي ترجمها الأستاذ محمد عوض ابراهيم بك إلاَّ معجباً ومثنياً على جهاد الأستاذ .. في هذا اللون من الوان التأليف الذي لا يزال صحراء قاحلة لا يستطيع ارتيادها الاَّ أمثال هذا الرجل الذي لا يزال على طول ما عمل في ميادين العمل . وما جاهد في دور التعليم ، يجد لذة في البحث ، ويصادف توفيقاً في مختلف الميادين.

أبو طالب زيان

باب الأخبار العلمية

الانسان في بداية عصره الذري

نقل المواد المشعة من أعقد المسائل التي يواجهها الخبراء . فان نفاذ اشعاعاتها الى الأجسام الحية يعرضها لعدة علل منها الموت المحقق، ولا يستطيع الانسان في بداية عصره الذري أن يتخلى عنها لأنها أصبحت من أهم المواد في علاج ودراسة كثير من مشكلات الصناعة والزراعة والطب

ولهذا لجأ الإنسان إلى وسائل شيطانية تتيح له استخدام هذه المواد كما تقيه شر التعرض لأشعاعاتها

ويذكر القارىء أن مادتي الرصاص والأسمنت المسلح هما أهم وقاية لا تنفذ منهما المواد المشعة ولهذا فان هذه المواد توضع دائماً داخل كتل ضخمة منهما .

فان كانت هذه المواد ثابتة في مكانها شيدت مواد الوقاية حولها وسلطت عليها الآلات لتحريكها بطريقة آلية تجعل الانسان بعيداً عن الخطر .

وقد ابتكرت الآلات البسيطة التي تتيح للانسان استخدام المواد المشعة وهو بعيد عنها

ومن الطبيعي أن هذه الآلات يجب أن تتوفر في اماكن انتاج المواد وفي اماكن استخدامها حتى لا يتعرض سكان أي الفريقين لأضرارها كما تتخذ الاحتياطات حتى لا يضر بها انسان لا يعرف طبيعتها

ومعامل أدك ريدج بأميركا هي أكبر مؤسسة تعني بانتاج المواد المشعة التي بلغ عددها حتى الآن نحو ١٠ آلاف مادة تستخدم في شتى الأغراض

*

ومن أبسط الوسائل التي ابتكرتها الصناديق والآلات اللازمة لنقل هذه المواد من مكان الى آخر، فتوضع المواد المشعة في أوعية صغيرة داخل صفائح ضخمة من الرصاص وقد يكون وزن المادة المشعة بضعة دراهم ولكن وزن الصندوق قد يصل الى طن أو أكثر.

الاشعة الذرية في نقل البترول

من المشكلات التي تواجهها صناعة زيوت الوقود مسألة نقلها . ولتوفير نفقات الشحن تلجأ الشركات الى مد أنابيب تنقل المواد من الآبار الى معامل التنقية ومنها الى مراكز التوزيع في أنحاء البلاد . ومن الميسور نقل الزيوت الخام لأنها من نوع

واحد أما بعد التنقية فان العملية تصبح معقدة فان الأنبوبة تنقل خمسة أنواع من زيوت الوقود كالكيروسين والبنزين والديزل وغيرها .

*

وكانت مهمة فصل هذه الانواع عن بعضها البعض من أشق الأمور وتستلزم ضياع فترات كبيرة من ساعات العمل حتى لا تختلط الأنواع ببعضها البعض. وقد تمكن الخبراء أخيراً من حل هذه المشكلة بالاستعانة بمادة الأنتيمون المشع الذي يصنع في المعامل الذرية. فعند أول كل أنبوبة تنقل الزيوت النقية توضع فيها كمية من الأنتيمون المشع لتفصل بين انواع الزيوت فاذا سارت الى نهاية الخط فانها تصادف جهازاً ينذر بقدوم مواد مشعة فيدرك العمال أن نوعاً جديداً من الزيوت سيبدأ ويضعونه في الأوعية الخاصة به.

وقد ابتكرت هذه الطريقة وستستخدم قريباً على أحدث خطوط نقل الزيوت في اميركا وهو خط طوله ٥٦٦ ميلاً ويبدأ من مدينة بيرسو بولاية اهيو .

بكتريا للوقاية من القنابل الذرية

من المشكلات التي يواجهها علماء الذرة مسألة المواد التي تتخلف من عمليات التجارب الذرية وتتسلل الى الماء أو مواد الطعام وتنتقل الى جسم الانسان . فبعض هذه المواد قوي الاشعاع وبعضها ضعيف وبعضها يمكن عزله واتقاء شره ولكن بعضها طويل العمر ولا يمكن عزله فاذا دخل جسم الانسان قتل الخلايا المحيطة به وبالتالي انزل المرض أو الموت بحامله.

ومن أخطر هذه المخلفات مادة البلوتونيوم الجديدة فهي تتجمع في العظام وفي الطحال وتعيش مشعة نحو ٢٥ر٠٠٠ سنة فاذا تسرب منها الى الماء جزء واحد من تريليون جزء فانها تعد خطراً على الصحة .

ومن المعروف أن البلوتونيوم من المواد المشعّة المستخدمة في القنابل الذرية وقبل أن تلقى هذه القنابل على هيروشيما وناجازاكي والمعامل الاميركية تحضر هذه المادة وتدرس كيف يمكن الخلاص من اضرارها

وأذاع أخيراً المهندسان جون نيوول وكر نستنسن بياناً قالا فيه انهما وفقا الى حل قد يزيل اضرار هذه المادة ، وهذا الحل هو نوع من الاحياء الدقيقة التي تتكون في المجاري ومصافي الماء ، فلهذه الاحياء شهية غريبة لالتهام وهضم مادة البلوتونيوم المؤذية للانسان

وقد جرّبا عملية زرع هذه البكتريا والاكثار منها ثم غذّياها بمواد قاتلة من البلوتونيوم فتفتحت شهية البكتريا هذه

المادة والتهمت نحو ٩٥ في المئة منها.

وقد وضعت هذه البكتريا في عدد من الخزانات التي يمر عليها الماء الملوّث بمواد البلوتونيوم المشع فكانت النتيجة ماء عاديًّا غير ضار بالانسان فقد التهمت البكتريا المواد المشعة وتركت الماء القراح

وفحصت حالة البكتريا بعد هذه الوجبة الخطرة فلوحظ أن المواد المشعة لم تصبها بضرر، فاذا كانت الوجبة ثقيلة عليها فان درجة حرارتها ترتفع قليلاً ولكنها لا تلبث أن تعود الى الدرجة العادية

وتجري البحوث الآن لمعرفة أفضل الوسائل للافادة من هذه البكتريا للخلاص من الفضلات وللاستعانة بها في حالة تلوث بعض البقاع بالمواد المشعة نتيجة لانفجار قنبلة ذرية فيها.

علاج جديد لأمراض الصدفية

أصبح الآن من المستطاع علاج المرضى بالصدفية وغيرها من أمراض الجلد الشبيهة بها بنجاح إذا ما تعاطوا حبوباً تحوي الأوكسيد الدهني الموجود في الحلوى، فقد كتب الدكتور هنري هاريس بيرلمان في صحيفة اتحاد الأطباء الأمريكية يقول إن تحسناً ملحوظاً في ١٧ حالة من المرضى بالصدفية — بعضهم امتنع عن الهرش والبعض الآخر اختفى هذا المرض من جسمه بعد أن عولج بالدواء الذي استنبطه. غير أن رئيس تحرير الصحيفة، حذر القراء من التغالي في التفاؤل إذ ما زال البحث في أطواره الأولى ولا يمكن الجزم بشيء إلاّ بعد مضي وقت آخر، بل إن الدكتور بيرلمان نفسه يوصي بأن دراسته تحتاج الى وقت آخر كما انه في حاجة الى مرضى آخرين ليقوم بالتجارب عليهم لكي يتمكن من معرفة القيمة الحقيقية لدوائه.

وقد وضع فعلاً لهذا الدواء اسم «انديسلينك اسيد» وقد صنع على صورة مسحوق وصورة مرهم. وكان في الأصل قد اتخذه طبيب من أطباء البحرية لعلاج الأقدام المتنفخة.

وكان ان أدخل عليه بعض التحسين وصنع منه كابسول أعطى لأطفال مصابين بالزائدة الدودية. وقد كان له تأثير حسن ولكنه غير حاسم في العلاج.

ثم اجرى تجارب به على مرضى الصدفية وفيهم من هو مصاب بها منذ سبع وعشرين سنة ومنهم من هو مصاب بها منذ شهرين اثنين. وما أن أعطوا الدواء الجديد حتى اختفى المرض في ثلاثة أو أربعة أيام في بعض الحالات. ولم يختف في حالات اخرى الاّ بعد اسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وبطل الهرش عند المرضى منذ اليوم الثاني أو الثالث. ولكن الهرش ازداد عند بعضهم

اول الأمر ثم أخذ يقل تدريجاً .

وقد اختفى كل أثر للمرض اختفاء تاماً في ثلاثة أشخاص مرضى ، وفي ستة أشخاص آخرين اختفى أكثر من ٧٥٪ من آثار المرض. اما البقية الباقية فقد اختفى منهم المرض بنسبة ٥٠٪

انقلاب جديد في عالم التليفزيون

قامت هيئة الاذاعة البريطانية باجراء تجربة جديدة تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ الاذاعة التليفزيونية . اذ سيجري تركيب آلات التصوير وأجهزة ارسال تليفزيوني في طائرات تحلق فوق مدينة لندن .وستقوم المحطات الأرضية بالتقاط الصور المرسلة عن طريق الجو وترسلها لأجهزة الارسال التليفزيوني الرئيسية التي ستقوم بدورها بنقلها الى أجهزة التليفزيون التي يمتلكها الأفراد .

ويعلق الخبراء أهمية كبيرة على هذه التجربة وما سيكون لها من أثر في العمليات الحربية في المستقبل . فهى تعتبر من أحسن الوسائل لمراقبة احدى الغارات الجوية . إذ لا شك انه إذا حلقت إحدى الطائرات التي تحمل أجهزة ارسال تليفزيوني خاصة فانه يسهل عليها نقل صورة واضحة عن الهجوم الى مراكز القيادة العليا التي تبعد مسافات بعيدة

ومما يذكر أن أجهزة التليفزيون التي ستستخدم في الطائرة قد ركبت بطريقة لمنع وقوع أي تذبذب محتمل وستنقل الأجهزة في الطائرة صورة واضحة لمعالم المدينة المختلفة .

كنوز من البحار

يرى الدكتور وارنو برجمان الأستاذ بجامعة (ييل) أن ماء البحار والمحيطات سيمد المدينة يوما من الأيام بفيض من الأغذية والمعادن لا ينضب لها معين .

وهو يعتقد أنه لو تحققت الآمال المعقودة على استنباط الماء العذب من ماء البحار بعزل الأملاح والمعادن الأخرى عنه لأمكن تحويل الصحاري الشاسعة الى مروج نضرة ومزارع خصبة تغل من الخيرات والأقوات ما لا يخطر ببال . قال الدكتور وارنو :

ومع انه قد اهتدى فعلا الى وسيلة لاستبعاد الملح من ماء البحر، الا أنها وسيلة لم تصل بعد الى الحد الذي تصلح فيه لاستغلال اقتصادي على نطاق واسع

أما عن الثروة المعدنية التي يمكن استخراجها من ماء البحار فقد اورد الدكتور أرقاماً في هذا الصدد يقف أمامها

المرء ذاهلاً مشدوهاً فقد ذكر أن مقدار ما في محيطات العالم من ماء يبلغ ٣٠٠ مليون ميل مكعب واننا لو استخلصنا ما يحتويه ميل مكعب واحد من املاح ومعادن أخرى لحصلنا على مايأتي (١) جبل شاهق من الملح تبلغ زنته ١٧٧ مليون طن (٢) ٦ مليون طن من معدن الماجنزيا (٣) ٤ مليون طن من البوتاس (٤) ٣٠٠ الف طن من البرومين (٥) ٢٢٠٠ طن من اليود (٦) ٢٠٠ الف طن من البوتاس (٧) ٩٠٠ طن من الحديد (٨) ٤٥٠ طناً من النحاس (٩) ٧٠ طناً من اليورانيوم (١٠) ١٥ طناً من الفضة (١١) مقدار قيم من الذهب

هذه هي الثروة الهائلة التي يمكن استخراجها من ميل مكعب واحد من ماء البحر — فان كنت من هواة عمليات الاحصاء واردت أن تستقصي ما في سائر محيطات الأرض من كنوز فما عليك الا ان تضرب كل رقم من هذه الأرقام في ٣٠٠٠ مليون ..!

مخدر جديد

تمكن الأطباء في اميركا من اكتشاف عقار جديد ضد الألم هو من مشتقات المورفين ويؤخذ باطنياً في صورة «كبسولات» وقد أطلقوا عليه اسم «ميتوبون هيدروكلوريك».

وإن من مميزات هذا العقار انه اقل من المورفين تأثيراً على العقل كالهذيان والارتباك وبعض حالات رد الفعل كالقيء والدوار والاضطراب والعرق والصداع والأحلام غير السارة «الكابوس» ويقال إن قابلية المريض للادمان على هذا العقار بحيث يخف تأثيره عليه أقل من المورفين ومن مميزاته أيضاً أن المريض يستطيع أن يتعاطاه لمدة طويلة دون أن يؤدي هذا الى الأدمان.

على أن الأطباء يقولون إنه إذا كان قد سبق للمريض تعاطي المورفين بكثرة أو ادمانه عليه فانه لن يكون لهذا العقار الجديد أثر فيه والمفهوم أن الحكومة قد صرحت أخيراً بانتاج هذا المخدر على نطاق تجاري واستعماله لعلاج الآلام العضوية بناء على أوامر الطبيب.

حقن البنسلين بطريقة جديدة

اصبح في الامكان الافادة من البنسلين بطريقة جديدة ، وهي أن يحقن في العضل مباشرة بمقدار يفوق المقدار العادي خمس مرات. وتوضع حقيبة من الثلج على موضع الحقن ساعتين كما يبرد البنسلين خمس دقائق قبل حقنه فاذا حقن أعيدت حقيبة الثلج الى موضعها مع تجديد الثلج مدة ١٢ ساعة وهذه الطريقة تؤخر امتصاص البنسلين ، وتجعل تأثيره فعالاً لمدة أطول. وقد أمكن بهذه الوسيلة علاج ٩١٪ من مرضى السيلان.

* *

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثامن عشر بعد المئة

---

١٣١ الفيلسوف والألم . . . . للدكتور جميل صليبا
١٤٣ نحن واللغة العربية . . . . للأمير مصطفى الشهابي
١٤٨ أتجاه العلم . . . . للأستاذ اميل توفيق
١٥١ أسس الحياة الجيدة . . . . للأستاذ الياس يعقوب
١٥٨ اليها (قصيدة) . . . . للأستاذ حسن عبد الله القرشي
١٦٠ حلم الحكومة العالمية . . . . . . للأستاذ صلاح الدين الشريف
١٦٦ نهضتنا الثقافية . . . . للأستاذ محمد مفيد الشوباشي
١٧١ يوم الجزيرة (قصيدة) . . . . للأستاذ محمد فهمي
١٧٢ الركاز (قصة) . . . . للأستاذ ابراهيم الابياري
١٧٥ المخترعات المرتقبة . . . . . . للأستاذ عوض جندي
١٧٩ فقه اللغة العربية . . . . للأستاذ عبد الله أمين
١٨٧ دار الكتب المصرية . . . . للأستاذ اسبيرو جسري
١٩٢ نظرات في النفس والحياة - نظرات ملبس= . . للأستاذ ع ش
١٩٦ تطور الموسيقى في سورية . . . . . للأستاذ ميشيل الله ويردي
١٩٩ غرائب الجراحة الحديثة . . . . . . للدكتور عبده رزق
٢٠١ ملحمة عبقر: نظم الشاعر الملهم شفيق المعلوف . للأستاذ البدوي الملثم
٢٠٧ تبرير الفناء — ٢ = ... للأستاذ السيد كمال الشوري
٢١٣ اندريه جيد . . . . ••
٢١٤ التقويم الزراعي لشهر فبراير . . . . ••
٢١٥ [مكتبة المقتطف] شاعر وكتاب: للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي (١) صور من حياتنا (٢) وحي الأمومة: للأستاذ رضوان ابرهيم مصطفى. العاصفة للشاعر شكسبير: للأستاذ أبو طالب زيان
٢٢٣ [باب الاخبار العلمية] الانسان في بداية عصره الذري. الاشعة الذرية في نقل البترول. بكتيريا للوقاية من القنابل الذرية. علاج جديد لأمراض الصدفية. انقلاب جديد في عالم التلفزيون. كنوز من البحار. مخدر جديد. حقن البنسلين بطريقة جديدة . . . . ••